أحمــد زرقــه

ميزان الألف العربية



الطبعة الأولى ١٩٩٠
عدد النسخ ٢٠٠٠

الإهـــداء . . .

إلى ولدي الذي كان له الفضل ، في الكشف عن موضوع هذا البحث ، عندما أشكلت عليه الألف : هجاء ، وكتابة .

المـؤلف

قال الزجاجي ـ ٣٣٧ هـ في كتاب الجُمَل :

« ومما حذفوا منه الهمزة في الخط مسؤول ومشؤوم ، منهم من يكتبه بواوين كما ترى ، ومنهم من يكتبه بواو واحدة » .

وقال ابن جني في رسالة عقود الهمز ـ ٣٩٢ هـ :

« فإن كانت الهمزة المتوسطة ساكناً ما قبلها ، لم يثبتها أكثر الكتاب مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة » .

وجاء في رسالة أسباب الحروف لابن سينا ٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ قوله :

« وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة ، فأظن أن مخرجهما مع اطلاق الهواء سلساً غير مزاحم .

وأما الواو المصوتة وأختها الضمة ، فأظن أن مخرجهما مع اطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج ، وميل به سلس الى فوق . وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة ، فأظن أن مخرجهما مع اطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج ، وميل به سلس الى أسفل . ثم أمر هذه الثلاثة عليَّ مشكل » .

وقـال الـدكتور أميل يعقوب في كتاب الخط العربي بعنوان « مشكلة الهمزة » ص ١٠٢ .

« أولى مجمع اللغه العربية مسألة الاملاء ، وخاصة باب الهمزة ، عناية خاصة ، فناقش عدة اقتراحات قدمت إليه لتيسير كتابتها ، ومن بينها : رسمها دائماً على الألف ، والاكتفـاء بصـورة رأس العين التي اختارها لها الخليل بن أحمد ، وذلك سواء أكانت في أول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها ، ومهما كانت حركتها ، لكن المجمع لسبب ما أبقى على صورة رسمها محدداً هذا الرسم ببعض القواعد التي لم تحل المشكلة ، بل ربما زادتها تعقيداً »

وعلق الـدكتور مازن المبارك في كتاب حققه بعنوان « رسالتان لابن جني : الألفاظ المهموزة وعقود الهمز » ص ٦٥ بالقول

« أفـرد بعضهم رسـالة خاصة لموضوع بعينه ، كما فعل ابن جني في رسالة عقود الهمز ، وقد كانت لهم أصول يصـدرون عنها ، وقواعد يلتزمونها كما كانت لهم في كتابة الهمـزة خاصـة مذاهب مختلفـة ، لكـل منهـا أصل يأوي إليه ، ويعمل عليه . . . » .

مقـدمـة

قديماً قالت العرب :

« من عَرفَ ألف ، ومن جهل استَوحش » .

هذا القول العربي البسيط في كلماته ، الواضح في معناه ، هو المنطلق الذي استرشدت به للخوض في هذا البحث ، الذي يجيب على أولئك الذين يجدون صعوبة في تعلم العربية ، وبالتالي ، يعزفون عن اتقان نطقها وكتابتها .

ويتناول مشكلة الألف التي ليست بجديدة على علوم اللغة العربية : قديمها وحديثها ، كما تدل الشواهد التي تصدرته ، وإنما الجديد فيها كما يتضح من هذه الأقوال ، هو أنها لم تعد تحتمل التأجيل في ظل حاجة كل فرد لها مهما علا ، أو دنا في السلم الاجتماعي .

وكان الأجدر بلغويينا المحدثين الكف عن القيام بدور الحراسة لهيكل لغتنا العربية التي رفضت ، بأصالتها ، وما تزال ، دعوات تحنيطها ، والذي يتلخص : بالاكتفاء بما وصل إليه الأسلاف والدفاع عنه من ناحية ، أو بمعارضته بما قاله الغربيون في وصف لغاتهم والتسليم به من ناحية أخرى .

وعدت إلى أصل تدوينها في الكتابات المسمارية والفينيقية والسريانية والنبطية المتأخرة للوقوف على سر

التصويت بها ، والمشكلة التي لا تزال ترافق كتابتها صدراً وحشواً وطرفاً .

ولاحظت أن ابن جني وقف على أسرار هذه الألف في كثير من الأبواب الموزعة في كتاب الخصائص الذي يدل على عبقريته وفرادته العلمية ، ولكن دون أن يعثر على قانونها العام الذي تنتظم فيه أصولها ومبادئها .

ووجدت نفسي مدفوعاً لتحليل هذه المسألة الى مركباتها الأولية ، للوقوف على تفاصيلها ، وبالتالي إعادة بنائها بصيغة جديدة ؛ تتيح الوصول الى ما أعتقده حلاً لاشكالية هذه الألف .

وابتعدت عن الخوض في الخلاف والاختلاف بين أئمة اللغة حول هذه المسألة إلا بما يخدم هذا البحث ، لأن ذلك شرح يطول ، وارباك قد لا ننتهي منه إلا إلى الفوضى والتشتت ، كما حدث لمن جربوا بالعمل على تصويب رأي هذا ودحض رأي ذاك في مسألة ليست اجتهادية ، وإنما هي من العلم وإليه تعود مسألة البت فيها .

وحاولت الكشف عن ما هو مخبوء من أسرار في هذه اللغة ، بأسلوب مرن يعيد بناء الجزيئات العلمية التي اكتشفها علماؤنا المبدعون أمثال : سيبويه وأبو علي الفارسي وابن جني وغيرهم في بحث منهجي متكامل ، ومتناسق ومؤتلف مع أصل الألف العربية نطقاً وكتابة .

ولجأت في التثبت من صواب ماوصلت إليه من نتائج مبنية على البرهان والدليل ، إلى تقديم اللوحات الخاصة بكل فصل واقنباس البيانات اللازمة التي جاد بها علماؤنا لنوضيح بعض المسائل الضرورية .

وما أرجوه : أن يثير هذا البحث مشكلة الألف في لغة تحمل تراث الآباء والأجداد ، وتختزن كنزهم المعرفي في مفرداتها ، وتراكيبها المرصوفة في بيان وبلاغة ساحرين .

المؤلف

يقول المثل العربي :

« جاء بها صأى وصمت » . .

أي جاء من الحيوان بالشاء والإبل ، ومن الجماد بالذهب والفضة .

صأت وصمتت الألف العـربية في لغتنـا ، ولمـا ازدوجت على هذا الشكـل ، حرنـا في تعريفها ، وتحديد مخرجهـا ، وتبيان وصفهـا ، ووضـع القـواعد التي تنتظم نطقها وكتابتها ، وتفسر لنا أسباب انقلابها إلى غيرها ، أو انقلاب غيرها إليها .

وببساطة العلم نقول : أن هذه الألف هي المقطع الصـوتي الـذي يعبر اللفظ به عن صوته ، كما في أسد ، وأنه لم يعد مفهوماً تسميتها باسم آخر لا يعبر عنها البتة ، ألا وهـو « الهمزة » ونقل تسميتها إلى المد المفتوح الذي لم يكن له كبقية الحركات القصيرة والطويلة علامة كتابية .

ولما كانت هذه الألف ذات طبيعة خاصة ؛ تختلف فيها عن بقية الرموز الحرفية الأخرى التي قبلت الانفصال عن حركتها ، كما هي الحال في باء بيت وراء رأس وجيم جمل ، فقـد غدت مشكلة تستحق الـدراسـة والتقويم ؛ ضمن إطار منهج تاريخي علمي متكامل .

ولبحث هذه المشكلة ، كان لا بد من الكشف عن القانون العام الذي يحكم علاقتها بالكلمة نطقاً وكتابة ، بالاعتماد على المزيد من الشواهد والأمثله ، دون اللجوء إلى اتهام أبناء العربية بالتقصير في تحصيلها ، أو اتهام اللغة بالقصور عن تحقيق متطلبات عصرهم اللغوية .

وتمثل هذه الألف : النواة الأصلية لدراسة الصوت الجسيم الذي يتآلف فيه الصائت والصامت ؛ في وحدة صوتية طبيعية هي نقطة الانطلاق في فهم كل الأبجديات اللغوية المعروفة في عالم اليوم .

وفي لغتنا التي اعتمدت حروف الهجاء « الصوامت » أساساً في تدوين كلامها ، واستبعدت الصوائت القصيرة والطويلة لصعوبة تحديدها وقياسها ، عوضاً عن حلولها المتغير المستمر ، نجد بأن الألف العربية هي الميزان الذي نقيس به كل الأصوات عند قيامنا بتعليم الأطفال وتلقينهم مبادىء النطق والكتابة .

وتجدر الاشارة إلى أن هناك باحثين رأوا في جميع رموزنا الحرفية مقاطع ، لأنها تحتمل إضافة أي من الحركات الموصوفة بالضم أو الفتح أو الكسر إليها ، ولكن

ذلك ليس صحيحاً لأن كتابتنا هي كتابة أبجدية صامتية .

وبمعنى آخر أن رموزنا هي حرفية هجائية لا ينطبق عليها وصف الألفبائبة الصائتية المعروفة في أوربا وإن كان هذا الاعتقاد ينطبق على ألفنا العربية التي لا ينفصل فيها الصائت عن الصامت مطلقاً ، بل يتآلفان بها في انسجام وتناغم تامين كما سنرى .

وصوت الألف الذي يصفونه بأنه : يحدث من انفجار شديد يقوم خلاله لسان المرمار بفتح الوترين الصوتيين ، واغلاقهما بشكل مفاجىء في وجه تيار الهواء القادم من الرئتين ، كما يحدث في بداية السعال ، هو حكاية صوتية لهذا المقطع اللغوي الذي فيه حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير .

وهذه الألف الموصوفة بهذا الشكل ، ليست بحرف على الاطلاق ، ولا يمكن أن تكون لا من ناحبة المخرج ، ولا من ناحيه الصفة ، وإنما هي مقطع صوتي يرافق اخراج جميع الأصوات اللغوية الأخرى المحددة المخرج والصفة التي تأتلف معه في الكلمة العربية .

ولما كانت هذه الألف مقطعاً صوتياً ، لذا فإن لها

وظـــائف صوتية وصرفية ونحـــوية وقـــاموسية وكتـابية ، انعكست سلبـاً على طريقـة رسمها ، وأحدثت ارباكاً ما بعده ارباك لمتعلمي هذه اللغة ومعلميها بآن معاً .

ولمـا كان الفتـحُ هو أسُّ الصـوائت ، ومن خلالـه يمكن تمييز الصـوائت بعضهـا عن بعض ، فقد كان هو الألصق بها في وظيفتهـا الدلالية الحاكية للصوت الطبيعي الذي يصدره الطفل في صرخة الولادة الأولى .

ونحن سوف نقدمها في قسمين الأول : الألف التي لا حركـة لها مطلقاً ، ونسميها الألف الصائتة تتوزع على ثلاثـة فصـول هي الـوصل والمد والقصر والثاني : الألف المتحـركة بالحركات الأربع المعروفة الفتح والضم والكسر والسكون موزعة أيضاً على ثلاثة فصول هي الفصل واللين والقطع ونسميها بالألف الصامتة .

وهـذه التسمية بقسميهـا الصـائت والصـامت هي تسمية مجازية لضرورة بحثها علمياً ، بالاعتماد على نطقها الـــذي تحولت بفضله من صوت طبيعي فيزيولـــوجي الى صوت لغوي ، ولكن كي نشير بهما إلى تقدم الصائت على الصامت في مقطعيتها أو بالعكس

القسم الأول

الألف التي لا حركة لها « الصائتة » .

١ ـ ألف الوصل
٢ ـ ألف المد
٣ ـ ألف القصر

● ليس لدينا في العربية ألف واحدة ، بل ألفات متعددة ، لكل واحدة منها وظائف وصفات تختلف فيها عن الأخرى ، لكنها مجموعة في رسم كتابي واحد أدى إلى إشكاليتها ، وعدم الوصول إلى تحديد تعريف دقيق لها .

وهذه الألف لا يمكن دراستها بعيداً عن دراسة المقطع سواء جرى التصويت بها في أوله أو آخره ، وسواء أكانت صدراً أم حشواً أم طرفاً .

والهدف من هذه الألف هو اظهار صوت الصامت وتلوينه ، بما يقتضيه تقطيع الكلام للدلالة على المعاني المتنوعة المختلفة ، في أجساد الكلمات القليلة العدد نسبياً قياساً إلى الكم الهائل ، وغير المحدود بالنسبة للمعاني التي تحملها الألفاظ اللعوية في أية لغة ، وليس لغتنا العربية فقط .

ولا تختلف هذه الألف في صائتيتها سواء أكانت في صدر الكلمة ، أم في حشوها أم في طرفها إلا من حيث كمية الانجاز الصوتي ، ومدة التصويت بها .

فهي في صدر الكلمة ألف الوصل بالساكن الابتدائي الذي يليها ، وغير المشبعة بأي من الحركات

المعروفة في لغتنا العربية ، وتعادل من حيث كمية الانجاز ومـدته نصف هذا الصائت الذي نسميه « حركة » أما في حشو الكلمة فإنها تعادل ضعف الفتح أو الضم أو الكسر لأن الانجاز القولي يتطلب ذلك عندما تتوسط .

وفي الـطرف تعـادل حركة + سكون لأن مدها هو لحن ، وخـوفـاً من وقـوع الالتبـاس عند وصل الكلمتين بعضهما ببعض وكأنهما كلمة واحدة .

وسميناها في الصدر بألف الوصل وفي الحشو بألف المـد وفي الطرف بألف القصر تمشياً مع الانجاز التصويتي بها في الكمية والزمن .

الفصـــــل الأول

ألف الوصل .

- أماكن وجودها .
- أماكن حذفها .

قال نعيم علوية في كتابه بحوث لسانية ص ١٨٢ : بعض العــرب كان يلفظ (إِستقــر) وبعض كان يلفظ (سْتقــر) بعضهم أبــرز لفظ « إِ » وبعضهم أهمله . وقد أهملوه جميعاً في درج الكلام . يقولون (وسْتقر) وفي أيامنا يهمله القراء والمتكلمون على السواء .

● لما كان صوت الألف يرافق اخراج جميع الأصوات اللغوية الأخرى ، فقد أعطى العرب له رسماً قبل الساكن الابتدائي ، يدل على حسن انتباههم إلى أن الصامت لا يكون مصوتاً دون الصائت حتى وإن كان هذا الأخير غير محقق السمع ، وسجلوا لهذه الزفرة الخفيفة التي تسبق الكلمة المبدوءة بساكن ابتدائي رسماً سميًّ بألف الوصل * .

وهذه الألف لا مدلول لها في الواقع ، سوى كونها زفيراً لا بد منه للتصويت بحرف صامت . أما إذا سبقها ما ينفي الحاجة إلى الابتداء بها بلفظ ما أوله صامت فانها تحذف لفظاً وخطاً لسقوط الضرورة الصوتية التي دعت إلى نطقها ورسمها .

والجدير ذكره في هذا السياق ، أن الأكدّية القديمة كانت تضع ألفاً قبل الساكن الابتدائي ، وتكتب وتلفظ فعل الأمر الثلاثي « اِقْرأ » بدلاً من « قْرأ » التي تمثل الصيغة الأساسَ الضرورية ، اشارة منهم إلى مطلع

★ انظر كتاب بحوث لسانية لنعيم علوية تحت عنوان « الحركة والسكون في لغتنا »

الكلمات المبدوءة بحرف صامت ساكن .

وقد وصفها أبو الفتح بن جني في رسالة عقود الهمز بأنها هي المصوغة من نَفَس الكلمة ، أي من روحها ، أما الإمام الرازي فقد ساق في « كتاب الحروف » أبياتاً شعرية تفسر معناها وتوضحه ومنها :

زمـــاني رمـــاني بالـــنّـــوى وأذاقـــني
سمــومــاً وأبكــاني الـدماء كما النصل
وأســـقـــطني عن كل جمع ووصـــلة
وأيضاً : كأني نون الجمـــع أو ألف الـــوصـل
قد صرت كالنـــون في الهجـــران منحنياً
وكنت في الـوصـل عنـد الإلـف كالألف

ومن معانيها القاموسية ألّف الشيء وصل بعضه ببعض .

فألف الـوصل هي ذلك الصوت الذي نعرف من حلالـه على المـدلـول الصوتي للساكن الابتدائي ، وتظل حركتها هي حركة النَفَس المحتلسة احتلاساً غير المشبعة ، بأي من الحركات الموصوفة في لغتنا العربية .

وهي ليست متحركة بأي من هذه الحركات ، وإن كانت تتضمن جميع مستـوياتهـا ، لكن دون أن تكون أياً منهـا ، أما محاولات وصع القواعد لحركتها ، فليس ذلك إلا من باب المغالاة في تفعيد القواعد ، بينما اللغة كما هي الحياة تظل غير خاضعة للتقعيد في عدد من النواحي .

وتـــظل هذه الألـف غير فاىلة للوصف الـــدقيق ، ولكن يمكن القول أنها تعادل نصف حركة الفتح أو الضم أو الـكسر ، دون أن نعـني ذلـــك بالضبط ، ولكن بغية تقربها إلى الأذهان لتسهيل تعلمها وتعليمها .

ويمكن أن يترك أمـر تحريكهـا من النـاحية المبدئية لنفسية القراء والمتحدثين ، كيلا نلزم المتكلمين بهذه اللغة ما لا يجب الالتزام به ، ولا ضرورة له اطلاقاً ، وكي تظل هذه اللغة لصيقة بحياة العربي وسجيته ، وفطريته النابعة عن خلْقه وتكوينه ، في حالات هدوئه وانفعالاته وفرحه وحزنه .

أما الصرفيون فانهم يقولون : أنها تسمع مفتوحة في « أل » التعريف مثل الكتاب ـ القلم ـ الشجرة وفي « أيم الله » عند من عدها وصلية في القسم وقالوا : انها تسمع

مكسـورة في ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما مثل اقتحمَ ـ اقتحمْ ـ اقتحام واستعلمَ استعلمْ ـ استعلام وفي أمر الثلاثي اسمعْ ـ اكتبْ ـ اكسرْ .

وفي تسعة أسماء سماعية هي اسم واست وابن وابنة وابنم في لغة من قالها من العـرب ، وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان .

وعدوها مضمومة في الفعل المضموم عين المضارع ، كما في كتب ـ يكتبُ ـ اكتب .

ولكن تظل حركة ألف الوصل هي حركة الإمالة ، نحـو الكسر غير المشبـع بأي من الحركات ، والتي تسمع كنسيمة خفيفة قبل الساكن الابتدائي ؛ والدليل على ذلك أنـه يمكن لفـظهـا مائلة نحـو الأسفـل في جميع أمـاكن وجـودهـا ، وأنـه لا مانع صوتي يمنع من ذلك ، بل أن الضرورة التصويتية هي التي تستدعيه .

وتـظل هذه الألف هي المـوصولة نطقاً بما بعدها ، وغـير المنفصلة عنه مطلقاً، وكأنها هي وهو بمنزلة الحرف الواحد ، أما لفظها مفصولة عما بعدها فهو لحن غير مستحب .

ويمكن الاستغنـاء عن أمـر تحريكها مطلقاً ، لأنها زفـرة خفيفـة نميل بها نحـو الكسر باعتبـاره أسهل أنواع الإمالة ، وأخفها قبل التصويت بساكن ابتدائي ، واستثنوا من ذلك البادئة التي تسبق الاسم لتعريفه ، ولكن المغاربة العرب لجأوا إلى حذفها رسماً ونطقاً ، حتى في هذا الموضع رغم أهميته التفريقية .

وقـالـوا مثـلاً في لفظ الكتاب « لْكتاب » والشجرة « لْشجرة » ، ونطقوا باللام دون غيرها ، مما يدل على أنها عارض صوتي ، هو بمثابة تحصيل حاصل للنصوبت بأى ساكن ابتدائي .

وإذا علمنا أن السكون هو حركة في حالة توازن ؛ أدركنـا أنـه من الممكن لفظ السـاكن الابتـدائي ، دون الاعتماد على هذه الألف ، شرط الابقاء على رسمها الذي أصبح مرتبطاً بمدلولات صوتية وصرفية ونحوية وغيرها ، مما لا يمكن الاستغناء عن الاشارة إليها بهذا الرسم الذي عرفناه .

وهذا الأمر يجري على جميع أنواع الكتابات التاريخية التي تحتفظ بحـروف لا تلفظ ، ولكنهـا تسجـل أثنـاء

الكتابة ، للتفريق بين الكلمات المتشابهة الكتابة والمختلفة المعنى .

ونحن لا نعْمد عند لفظ هذ الألف إلى القيام بتحريك الأعضاء في أي اتجاه ، سواء أكان ذلك نحو الفتح أم الضم أم الكسر ، بل نترك الهواء ينسرب من الداخل إلى أن نصطدم بتصويت الحرف المبدوء به الذي ننوي نطقه .

ولا ضرورة أيضاً تستدعي عدم لفظ اللام بعد هذه الألف ، وقبل الحرف المشدد ، لأن نطق هذه اللام هو الأصل ، وإهمال نطقها يأتي من باب صعوبة النطق بساكنين ، ولكن هذه اللام التي نخرجها من طرف اللسان هي كالألف بمرونتها ، وقبول مخرجها مجاراة مخرج ما يلحق به من حروف .

أما فيما يتعلق بزعم الصرفيين أن حركتها الكسر أو الضم أو الفتح ، فليس ذلك صحيحاً كما أشرنا بالمقياس الصوتي البحت ، وإنما الجوار هو الذي فرض سماعها ممالة نحو الكسر ، أو الفتح أو الضم في الكلمات التي حددوها ، وامالتها نحو الكسر غير المشبع هو الصحيح

والمقبـول والمتجـانس مع طبيعـة التصويت بها ، كعارض صوتي لا بد منه قبل الساكن الابتدائي .

وفي كتب ـ يكتُب ـ اكتب فان التصويت بها في هذا المـوضـع هو الـذي يعـترض امكانية اشباع حركة الكسر فيها ، وخاصة عند اللحن ، أما فيما يتعلق بقولهم مفتوحة في « أل » التعريف فذلك من أجل التأكيد على وجود هذه اللام قبل الكلمات التي شددنا الحرف الأول منها ، مثل : الـشمس لأن هذا التشـديد كثـيراً ما يضيّع لفظ الألف واللام الموجودين قبله ، ولكننا عندما لا نلحن في لفظ هده الألف كما يقـولـون ، فإن الحركة الطبيعية هي الممالة نحو الكسر وليس نحو الفتح بتاتاً .

ولكن يمكن أن نستخـدم ألف الوصل للاستدلال على أن الكلمـة ليست اسـماً ، لأنها ليست موجودة ، في الأسماء ، إلا في تلك الأسماء العشرة القديمة المأخوذة من لغـات الأقوام السابقة باستثناء تلك الملحقة بأل التعريف كما رأينا .

أمـا الألفـات التي في أوائـل الأفعـال فهي ألفـات الوصل إلا في خمسة مواضع هي :

١ ـ ألف أفعل والأمر منه : أكرم زيد عمراً ـ أكرمْ .
٢ ـ ألف المخبر عن نفسه أنا أذهب .
٣ ـ ألف الإستفهام أقام زيد .
٤ ـ ألف الماضي الثلاثي الواقعة صدراً أكل ـ أمر .
٥ ـ ألف الفعل المستقبل الذي أوله إحدى الزوائد الأربع أقوم ـ أنام ـ أسهر .

ويستدلون على ألف الوصل في الأسماء بسقوطها في التصغير ، كقولنا بني وسميّ ومريّ ، وفي الأفعال بانفتاح الياء في المستقبل يذهب ويرجع ، وألفات الوصل لا تدخل على الرباعي لا في الماضي ولا الحاضر ولا الأمر .

وإذا دخلت ألف الاستفهام على ألف الوصل ثبتت ألف الاستفهام ، وسقطت ألف الوصل لأن ألف الوصل إنما أُتَي بها للتوصل إلى النطق بالساكن الذي بعدها ، فلما دخلت عليها ألف الاستفهام أُستغني عنها بهذه الألف ، فأسقطت نحو أَبن زيد أنت ؟

وإذا دخلت ألف الاستفهام على ألف لام التعريف فاننا نقول آلساعة جئت ؟ آليوم خرجت ؟ وذلك بمد ألف الاستفهام بعض الشيء كي لا يلتبس الاستفهام بالخبر.

ويحذفون ألف الوصل بعد اللام الداخلة على مصحوب « أل » نحو للخير، وبعد الواو والفاء إذا كانت واقعة قبل ألف صامتة نحو فأتني وأْذن لي .

وهي تحذف من كلمتي ابن وابنة إذا وقعتا بين اسمين علمين الأول ابن للثاني بشرط أن تكونا مفردتين وغير منون ما قبلهما مثل : خالد بن الوليد ، وكذلك إذا وقعتا بعد « يا » النداء مثل يا بن آدم ، ويا بنة الخطاب كما تحذف من كلمة اسم في البسملة الكاملة « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكما يقول نعيم علوية في كتابه بحوث لسانية : ان الصحيح في مقولة الكلام العربي لا يبدأ بساكن ولا يقف على متحرك هو احتياج الحرف الصامت إلى بعض الهواء كي يتحقق ويسمع ، وهذا الهواء اللازم للتصويت يبرز مجسداً في ألف الوصل الخرساء « آ » التي هي تحصيل حاصل لا معنى لاثباتها تارة ، وحذفها أخرى إلا إذا

التبست الكلمة بغيرها في الرسم الكتابي .

والحقيقة هي أنه في بداية الكلمة نلفظ زفيراً ، وفي نهايتها نأخذ شهيقاً ، وأن منحنى التنغيم هو الذي يخضع إلى ضرورة شد الأوتار الصوتية عند بداية الكلام كما يخضع أيضاً لدواعي التوفير وميلها للاسترخاء في نهايته ، والذي نسمعه في الهاء المفتوح ما قبلها التي تسمى تاء مربوطة ، تلحق بالمؤنث وجموع التكسير غالباً .

وبين البداية والنهاية بإمكان المتكلم استخدام هذا المسار أو ذاك لادخال بعض التمايز بين الأصوات المنطوقة ، وهو ما يحدث عند البشرية كلها بطريقة واحدة ولو أن الأشكال تختلف من مجتمع إلى آخر .

وهذه التاء المربوطة في كلامنا العربي التي لحقت الحرف المفتوح ، هي أخت هذه الألف الوصلية التي تحدثنا عنها في هذا الفصل ، وهي التي أصبح لها معاني دلالية على التأنيث وجمع التكسير وغير ذلك ، رغم أنها في التصويت هي تحصيل حاصل لانتهاء الزفرة والحاجة إلى أخذ الشهيق من جديد للتصويت بملفوظ آخر .

وفي هذا الإطار نفهم موضوع هذه الهاء الخافتة التي لحقت الكلمة العربية لدلالة صرفية ، كما هي الحال بالنسبة للألف الوصلية الخرساء وكلتاهما لا دلالة بنيوية لهما في اللفظة العربية .

وإذا ما أردنا بناء لغتنا على أساس التصويت بها ، كما يقتضي المنهج العلمي لدراسة أية لغة ، ما علينا سوى استبعاد هذه الألف الخرساء في البداية ، وتلك الهاء الخافتة في النهاية ، وعدهما من البوادىء واللواحق الملتصقة بالكلمة العربية عندما نريد وزن اللغة وأصواتها بالميزان الذي يجب أن تزان به .

ولو استعرضنا الخلاف بين سيبويه الذي قال في ألف أيمن أنها وصلية من اليمن والبركة ، وبين الفراء الذي قال عنها ألف قطع هي جمع يمين الله وايمن الله وإنما حذفت حركتها لكثرة الاستعمال ، لاقتنعنا بأن هذا خلاف بين كبار أئمة اللغة على ما لا أصل ثابت له ، ولسلمنا بضرورة تقرير هذا الأمر للمتحدثين والقراء وفقاً لما يرونه مناسباً لحالتهم النفسية عندما يتكلمون .

وجميع ألفات الوصل وفق هذا المنظور هي لدلالة

صناعية ، وليست لدلالة بنيوية اقتضتها ضرورة التفريق بين بعض الصيغ الاشتقاقية في الاسم والفعل ، فألف الوصل الملحقة بأل التعريف ميزت الأسماء عن الأفعال كما أن ألف الوصل الموجودة في الأوزان العشر افتعل وانفعل واستفعل وافعلّ وافعالّ وافعنلل وافعللّ وافعوّل وافعوعل وافّاعل هي غير موجودة في صيغ الأسماء .

ورغم أنها تثبت في الابتداء وتسقط عند الوصل بغيرها من الحروف ، فإن الصرفيين أباحوا اثباتها فيما أدخلوا عليه « أل » التعريف ، كما في قولنا الاسم والابن والانطلاق والاكتساب والاستخراج ، وذلك لتمييز الكلمات المتشابهة في الرسم الكتابي بعضها عن بعض في مثل هذه المواضع .

لوحـــــــة (١)

ألـــــف الوصـــــل	
أماكن وجودها	أماكن حذفها
ـ في « أل » التعريف الكتاب ـ الشجرة ـ في عشرة أسماء سماعية هي ابن ـ ابنة ابنم ـ ابنتان ـ ابنان ـ اثنان ـ اثنتان ـ امرؤ ـ امرأة ـ امرآن ـ امرأتان ـ اسم ـ اسمان ـ است ـ ايم الله ـ في ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما الموجودة في الأوزان الآتية افتعل ـ انفعل ـ استفعل ـ افعلّ ـ افعالّ ـ افعنلل ـ افعلّل ـ افعوّل افعوعل ـ افّاعل	ـ إذا دخلت عليها ألف الاستفهام في جميع أماكن وجودها ـ من « أل » التعريف اذا دخلت عليها اللام . من كلمتي ابن وابنة إذا وقعتا بين اسمين علمين الأول ابن للثاني ـ بعد « يا » النداء ـ من كلمة اسم في البسملة الكاملة

الفصـــل الثـــاني

ألـــف المـــد

- الأصليـــة
- الزائـــدة

يقول ابن جني :
« إن الحــركــات متــى
أشــبعت ومــطلت تمت
ووفت ، وجرت مجرى
الحروف » .
من كتاب الخصائص

● يعبر الطفل بصراخه العضوي البيولوجي الجوفي ، عنـدمـا يولـد عن ألمـه بالحـركة التي تنتمي إلى الصوائت القصيرة ، والتي نستعين بها للفظ أي حرف ، من حروف العربية الصامتة .

ثم تتـحـول هذه الحـركـات إلى مدود نسميهـا بالصوائت الطويلة ، بفضل تأثير الناس المحيطين بالطفل الـذي أظهرت غنته أن بناء اللفظة من عنصرها الأبرز لا يستـوي دون الاستعـانة بالمصوتات الرئيسة عندما يتحول الصوت الخام المطلق إلى صوت لغوي .

وكـما يقـولـون : فالحركات توجد في النَفَس والهواء الذي يخترق الفم ، وكذلك اخواتها الطويلة ، لكن الدور الأكـبر للشفتين اللتين تُصنِّف الصوائت وفقاً لحركتها من حيث المستوى : إلى عالية ووسطى ودنيا الممثلة في الألف والواو والياء .

ونسمي الصـائت متسعـاً عنـدمـا يتسـع الفم إلى أقصى درجـة ممكنـة عند لفظه ، كما في كلمة باب ، كما نسميه مستـديراً إذا نطقنـاه شفتـين مضمومتين ، كما في

كلمة فول ، ونسميه مجروراً عند نطقه بجر الشفتين ، كما في كلمة فيل .

وعندما يتطرق الرازي إلى صلة الحركة بالصوائت الطويلة باعتبار العلاقة القائمة بين الحركات والمدود ، يقرر بأن الحركات هي أبعاض المصوتات ، بدليل أن هذه الصوائت قابلة للزيادة والنقصان ، فإذا مدت الحركات الطبيعية حدثت الصوائت اللغوية التي نعرفها في كلامنا العربي .

أما ابن سينا فإنه يتناول الحركة من جهة مرونتها الزمنية سواء اقتضت ذلك اللغة ، أم إباحة الانجاز الصوتي العفوي ، فيفرع اندراجها على خط الزمن إلى مستويين :

الأول : مستوى الحركة القصيرة ، وهي الحركات العادية التي لا تحتل من المدى الزمني إلا بقدر ما يميزها عن الحروف المفردة والمركبة .

والثاني : مستوى الحركات المدية ، وهي انبساط الصوت على محور الزمن الطبيعي الذي تقتضيه جداول اللغة وأنظمتها .

ويقول القاضي عبد الجبار أن حرف المد يساوي من حيث الكمية الايقاعية حركة منلوة بسكون ، أما ابن سينا فانه يرى أنها تقع في ضعف أو أضعاف حركة المد قبلها .

فبعد استعراض هذه الآراء المبدعة لعلمائنا اللغويين التي تميزوا بها عند النظر في مسائل اللغة ، نستطيع فهم ألف المد المسبوقة بحركة الفتح التي تناسبها ، والتي رسم لها مقطعاً كي نستدل على طريقة لفظها في الحروف سمي بلام ألف « لا » فألصقوا فيها اللام هنا لصعوبة نطقها منفردة ، ولاستحالة نطقها في أول الكلمة كما هي الحال أيضاً في واو فول وياء فيل .

وهي ليست إلا نطق الفتحة مضاعفة ، ولا حركة لها مطلقاً ، كما هي المدود الأخرى ، والدليل على ذلك حذفها من آخر الكلمة المنتهية بها ، عندما نقف عليها بالسكون ، لأن المد لا يقبل الحركة مطلقاً ، أما السكون فهو حركة في حالة توازن .

والمدود هي المتحركة نحو الجهة التي يتجمع فيها هواء الزفير ، ولا معنى لأن نعود بها إلى ما يسمى في علم الصرف العربي بالأصل ، لأن المدود لا يمكن أن تكون

أصلاً في لغتنا العربية الصامتية إلا في الحالة الراهنة الموجودة فيها في بنية الكلمة ، لأنها تكون عند ذلك حاكية لصوت طبيعي هو الذي يوحي بها .

والألف المدية لا يحرك قبلها إلا بالفتح ، أي لا يقع قبلها ضم أو كسر أو سكون ، وكذلك الواو المدية المسبوقة بضمة والياء المدية المسبوقة بكسرة ، وتتحول هذه المدود من مد إلى آخر حسب مكان تجمع هواء الزفير المنطلق من الرئتين ، والخارج من الفم .

وكل ألف لاشباع حركة الفتح في حشو الاسم والفعل هي ألف المد ، وانه لم يكن في لغتنا العربية للفتحة الطويلة أو ما نسميه ألف المد في هذا البحث علامة كتابية في كتابتنا الصامتية ، كما هي الحال بالنسبة إلى بقية الحركات القصيرة والطويلة .

ويقول ابن جني في الجزء الأول من حصائصه صفحة « ٨٨ » .

« إنه ليس من القوة ولا احتمال الطبيعة وقوع الألف المدية بعد الكسرة ولا الضمة فقلب الألف على هذا الحد

علته الكسرة والضمة قبلها وهذه علة برهانية لا لبس فيها ولا توقف للنفس عنها » .

ونحن سوف نعمد إلى الأخذ بمبدأ العلل الواجبة التي يصح فيها الحد الطبيعي ، أما ما لا يصح فيها اعتماد هذا الحد المنسجم مع سيرورة اللغة ، وقوانينها الذاتية ، فليعذرنا حراس هيكل اللغة بإهماله عند البحث علمياً عن حقيقة هذه الألف المدية .

أما فيما يتعلق بانقلابها إلى غيرها أو انقلاب غيرها إليها ، ووضع العلل واستثناءات العلل بهذا الخصوص ، فليس ذلك إلا بسبب القول بالاشتقاق من المصدر من ناحية ، وزيادة المبالغة في وضع القواعد والضوابط والشروحات التي لم تفِ بالحاجة ، لأنها لا تستند على أساس من ناحية أخرى .

فهي أصل في كل اسم ثلاثي ، لأنها تكون حاكية لصوت طبيعي متى تغيرت حركته تغير حرف المد فيه ، كما هي الحال بالنسبة لحركة الضمة التي نسمعها في بُق - بُق - بقُ عند سكب الزيت من الوعاء وكذلك الأمر في ألف ماء وهاء وشاء وغيرها .

ويجدر بنا الاشارة إلى خطأ الرأي الصرفي القائل : بأن حركة حرف المد هي السكون ، لأن الألف المدية إذا أشبع مدها صار ذلك كالحركة فيها ، وانقلبت إلى ضدها الألف الصامتة التي من حركاتها السكون كما سنرى لاحقاً .

وأرى أنه لا فائدة من تتبع قلب الواو والياء ألفاً ، أو قلب الألف واواً أو ياء ، لأن ذلك أمر لا طائل منه ولا تحكمه قاعدة ، مهما بلغت من التفريع ، وأنه سيظل الشاذ فيها أكثر من القاعدة ، وذلك لأن التصويت بهذه المدود هو الذي يوحي بنوع حرف المد الواجب في الملفوظ من الكلمات ومشتقاتها .

والمد هو ضرورة تصويتية دعت الحاجة إليه ، لتنويع معاني الأصل الواحد ، وكي لا يحول شكله القالبي المحدد بعدد من الحروف الصامتة دون توليد المعاني المتعددة للشكل الواحد ، بل كي تستجيب للضرورات المعنوية المستخرجة من معنى هذا اللفظ ، وكي لا يتحول هذا الشكل أيضاً إلى غلٍ من أغلال اللغة يؤدي إلى ضمورها وفنائها ، بدلاً من العمل على نموها وتطورها .

وأنــه كلما توّلــد لدينــا معنـى لماهـية ما ، يجب وبـالضرورة أن نولـد منهـا لفظاً على شاكلتها ، لا يلتبس بغـيره ، ولا يخالف سنن الصياغـة اللغـوية وقـواعـد انتظامها ، وقوانين التوالد الذاتي الكامنة في جوهرها .

وفيما نراه أن الألف التي تكـون حكـاية لصـوت طبيعي في اللفـظة العـربية هي أصـل ، عنـدمـا تكـون بحالتها الموجودة فيها ، أما عندما تكون لابسة لبوس الواو أو الياء فهي أصل بالواو أو الياء ، وأنها ليست مردودة إلى أصـل ، لأنها لا يمكن أن تكـون أصـلاً في لغـة تعتمـد الصـوامت تدوينـاً ونـطقـاً ، كما سبق وأن أكدنا عليه في مرات سابقة من هذا البحث .

فالعـرب أنشـأت من الحـركة الحرف من جنسها ، وأنشــأت بعـد الفتحـة الألف وبعـد الكسرة الياء وبعـد الضمـة الـواو ، أمـا قضية حذفهـا وزيادتهـا ، فهـذا مما تقـتـضـيه جداول اللغــة الصــوتية والصرفية والنحـوية والقاموسية والكتابية .

ويجدر بنا التفريق بين المد الأصلي والمد الزائد ، لأن المد الأصلي يظل موجوداً بأشكاله المختلفة في أغلب الصيغ

الاشتقاقية ، أما المد الزائد ، فإنه يحذف أو يستبدل بغيره عندما ننتقل به من صيغة إلى أخرى .

فالمد الأصلي يتوسط الكلمة العربية الثلاثية ، ويبقى في جميع تصاريفها مثل قال ـ مال ـ نال ـ عاد ، وهي التي قالوا عنها أنها الألف الأصلية التي لها أثر في معنى الكلمة التي تدخل في تركيبها ، وهي التي تحولت إلى حرف لغوي بتأثير الناس المحيطين بالطفل كأمه وأبيه وغيرهم من الأقارب والألف والواو والياء لا تكون من الزوائد في الصيغة الثلاثية ، كما في مال ـ قول ـ بيع ، بل الزائدة هي الواو الموجودة في مفعول والياء الموجودة في فعيل والألف الموجودة في فاعل .

والألف المدية الزائدة لها وظائف جلى في لغتنا العربية ، كما للألف المدية الأصلية أو تزيد في ظل الحاجة الى المزيد من الاشتقاقات الصرفية .

ومن الزائدة ثانياً ألف فاعل شاهق والزائدة ثالثاً ألف تفاعل تقاتل والزائدة رابعاً ألف فعلان دوران والزائدة خامساً ألف افتعال انكسار والزائدة سادساً ألف استفعال استخراج .

ويمكن القول أنه كما كان الوصل في الابتداء والمد في الحشو كان القصر في الانتهاء كما سنرى.

لوحــــة « ٢ »

ألـــــف المــــد	
الأصليـــــة	الزائـــــدة
هي كل ألف موجودة حشواً في صيغة الكلمة الثلاثية	هي كل ألف موجودة حشواً في صيغة الكلمة الزائدة عن ثلاثة أحرف
ألف قال ـ مال ـ نال	ألف فاعل شاهق ـ بارد
ألف كاف ـ لام ـ باء	ألف تفاعل تعارك
ألف شاء ـ هاء	ألف فعلان هيجان
	ألف افتعال انسحاب
	ألف استفعال استمرار

الفصل الثالث

ألف القصر

- الطويلة .
- القصيرة .

يقول ابن الأنباري في كتاب « عمدة الأدباء » ص ٩٢ .

« إذا التبس عليك كلمة ، ولم تعلم أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء فاكتبها بالألف . . . . لأن كتابة الألف في اللفظ ألفاً في الخط هو الأصل وكتابتها ياء هو الفرع » .

● إن النص المطبوع جيداً هو الذي تكون فيه الفروق بين أشكال الألف طفيفة على سبيل المثال ، بحيث لا تحول هذه الفروق دون التعرف على جميع هذه الأشكال ، لكونها رسماً واحداً ، والطول والقِصَر من مظاهر هذا الصوت الذي يجب تحديده بدقة متناهية .

وإذا كانت ألف الوصل تخلصنا من صعوبة نطق الساكن الابتدائي في صدر الكلمة ، وألف المد تتيح لنا الانتقال السهل من مقطع في حشو الكلمة إلى آخر ، فإن ألف القصر هي التي تخفف علينا ثقل الوقوف على الصامت في طرف الكلمة ، وتعمل على إحداث الانسجام والتناسب بين أصوات الكلمة الواحدة .

وإذا استعرضنا الأضداد فإننا نجد أن المد في الحشو ضده القصر في الطرف ، أما اختفاء هذه الألف في الواو أو الياء عند التصريف ، فذلك راجع إلى أننا في وجود لا يستقل فيه شيء عن شيء إلا تجوزاً ، وما هو مطلوب في هذا البحث : معرفة سير حركة هذه الألف والكمية الايقاعية التي نحتاجها للتصويت بها .

وإذا كانت الألف من أحــرف الهجـاء هي الأم ، وليس لها وجود مستقل ، كما يقول الباحث محمد عنبر في كتـابـه جدلية الحـرف العـربي ، فإنه لا فرق بين الفتحة والألف ، لأن الفتحــة اذا امتـدت قليلاً صارت ألفـاً ، والألف اذا تقاصرت قليلاً ارتدت فتحة .

وبنـاء عليه يمكن إدراك أنـه ليس من صيغة تخرج على صفات حروفها ، وعلى طبيعة سير الحركة فيها ، ومن ذلك أيضاً الألف الطويلة والقصيرة .

ونحن لن نعود إلى ما كان قد أشكل علينا في هذا المجال من خلال ربط كتابة الألف بصرفها ونحوها ، وإنما سنكتفي فقط بالاشارة إلى طريقة التصويت بها ومدة هذا التصــويت وعـلاقتـه بكتـابتهـا ، كي نتخلص من هذا الاشكـال الـذي لو أنفق فيه متعلم اللغـة العـربية سنين طويلة لما استطاع اتقانه .

وهناك شواهد عديدة تشير إلى أن علماء مبدعين ، كابن سينـا مثـلاً أُخْرجوا من قبل أُناس عاديين ، عندما اتهمـوهم بالقصور عن فهم اللغة ، وهذا راجع كما أرى إلى عدم وجود القاعدة التي تنتظم فيها كل جزيئات اللغة

في ذلك العصر هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن من يريد اتقانها عليه التبصر في تآليفها وتصانيفها ، والخوض في دقائق مسائلها كي يستطيع الرد على مسألة قد يجهلها .

وما كان من العلامة ابن سينا إلا أن عمل على تأليف « رسالة أسباب الحروف » ، ليؤكد بها قدرته على الخوض في مجال لغوي لم يطرقه غيره من قبل بالمستوى الذي طرقه به من خلال وصف الحروف ، وتحديد مخارجها بالاعتماد على بصيرته النافذة وعلمه الوفير في الطب والتشريح .

وإذا علمنا أن الحروف المنطوقة متشابهة متضادة ؛ علمنا سبب اختلاف الألسنة التي يحار فيها الفكر ، لأنه كما كان تشابهها ككل شيء متشابه في هذا الوجود ، فهو لا يعني البتة أنها مترادفة ، كذلك فإن تناقضها لا يعني أنها من طبيعة مختلفة ، وهذه هي حال الألف التي تتناقض في المسار وتتشابه في الطابع والهوية .

ولما كانت الفتحة الممتدة ألفاً والألف المتقاصرة فتحة ، فان ذلك أوجب وجود حالات انتقالية بين هاتين الحالتين ، هي التي نميز بها الألف الطويلة من القصيرة .

وقد دلل اليونان على مد الحرف بتضعيفه في الوسط ، واشمامه في الطرف عندما استعاروا أبجديتنا الصامتية إدراكاً منهم للفروق الحقيقية بين مستوى التصويت بالألف في الوسط ، ومستوى التصويت بها في الطرف ، وهكذا تولدت هذه الفروق بين الألف الصائتية ، فهي في الصدر غيرها في الطرف ، وفي الحشو غيرها في الصدر والطرف أيضاً .

وألف المد هي غير ألف القصر ومختلفة عنها ، لأن المد لا يمكن أن يكون آخراً ، لأن مهمته التكيف عند الفصل بين مقطعي الكلمة الواحدة أما ألف الطرف فهي للفصل بين أصوات الكلمتين المتجاورتين بأكثر من الحركة وأقل من المد .

أما تحول إحداهما إلى الأخرى الذي جعل لغويينا ينظرون إليها نظرة واحدة ، فهذا شأن الموقع ، فالمد في الوسط والقصر في الطرف ، وأنه من الطبيعي عندما تصبح ألف الطرف وسطاً أن تنقلب إلى المد ، وأنه عندما تصبح ألف المد طرفاً أن ترتد إلى القصر بنوعيه الطويل والقصير .

ونلاحظ أنه : عندما يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة ، فإن الحرف الصائت يصبح قصيراً نسبياً سواء أكان نطقه في الأصل قصيراً ، أم غير ذلك .

ويمكن التمييز بين حالات الألف ، عن طريق معارضة بعضها ببعض ، بحساب المستوى الذي تندرج فيه حالات التصويت بهذه الألف ، من خلال رسم بياني ، يمكِّن متعلمي لغتنا من عدم الوقوع في تشابه نطقها ، وبالتالي تشابه كتابتها ، والتخلص من الحيرة والارتباك في عدم وضوح التمييز بينها .

فالإنسان العربي يقف على ألوان متباينة في نطق الصوت الواحد ، ومن أكثرها تبايناً صوت الألف بقسميها الصائت والصامت المتضامين في مقطعيتها ، ومن ذلك الألف الطويلة والقصيرة الواقعة طرفاً في الكلمة العربية .

فالألف الطويلة ترسم بطولها ، دون أي تخصيص استجابة للكتابة التي هي تصوير للنطق الذي هو كالنطاق ، بالنسبة للمعنى في ضمه وحصره وجمعه ، وهي الممدود الذي قصرنا به عن لفظه ، لذلك كان نطقها مقصوراً وكتابتها ممدودة .

وغياب المقياس الصوتي هو الذي أوقع لغويينا القدامى والمحدثين في حيصَ بيصَ ، فمنهم من دعا إلى كتابتها ألفاً طويلة ، بزعم أن الكتابة تصوير للنطق ، ومنهم من دعا إلى كتابتها بالألف القصيرة تغليباً للكثير على القليل ، وليست فيما نرى دعوات هؤلاء أو أولئك إلا هروباً إلى الأمام عندما عجزوا عن اكتشاف سرها ومعرفة حقيقتها الكامنة في مستوى التصويت بها .

ونحن إذا عدنا إلى قاعدة الاشتقاق من الاسم وتتبعنا لفظ الألف القصيرة بالإمالة بها نحو الياء ، أدركنا بسهولة ويسر المواضع التي تصبح فيها أن تكون طويلة والمواضع التي تصبح فيها أن تكون قصيرة ، دون عناء كبير ودون الحاجة إلى المزيد من القواعد والضوابط التي لا تنتهي .

وفي تلك العودة معرفة أكيدة بهذه الألف ، والاستدلال عليها في معظم مفرداتنا اللغوية ، فنحن لا نخطىء أبداً في معرفة ألف طلا إذا ذكرنا معها طلاء وألف سحا إذا ذكرنا معها مسحاة وألف عصا إذا ذكرنا معها

عصاة ، وألف أسا إذا ذكرنا معها مواساة ، وألف كسا إذا ذكرنا معها كساة وهكذا .

كذلك لا نخطىء إذا تذكرنا أن مشى من المشي وسعى من السعي ورأى من الرأي وبغى من البغي وخَصى من الخصي ، وبرى من البري ورعى من الرعي ورمى من الرمي وسقى من السقي وشوى من الشوي ، وطمى من الطمي وسبى من السبي ، ووعى من الوعي ، إلى ما هنالك من الأمثلة البينة الواضحة التي لا تحتاج إلى اجتهاد .

والألف بنوعيها القصير والطويل هي المعدولة عن كلمة : حروفها أكثر من الحروف الموجودة فيها ، لذلك تظل في جميع تصاريف الكلمة ، وهناك بعض الأمثلة التي من المفيد ايرادها في هذا المجال .

فزوفا بالمسمارية زوفو وبالآرامية زوفا .

وشمرا بالبابلية شمرانو . .

وصلاة صليتو بالآشورية وصلوتا بالعبرانية .

والشعرى بالأشورية شيرو .

وأنثى بالآكدية انشو . .

وحلفاء بالأكدية حلفتو . .

وحماة حميتو بالأكدية . .

ونحن لا نزال نأخذ من الاسم فعلاً له أو غير ذلك من المشتقات الأخرى كما كنا نفعل في السابق ، فنأخذ تلا من تلاوة ودنا من دون ومنايا من المنية ويحيا من الحية ودنيا من الـدنية ورزايا من الـرزية وخـطايا من خطيئة ولذلك قواعـد وضوابط عجز حتى كبار اللغويين عن تفسيرها في بعض الأحيان .

وسـوف نسـترشـد بالأمـاكن التي حددها اللغويون لوجود الألف الطويلة :

١ ـ في كل حروف المعـاني غير أربعـة منهـا تكتب قصيرة بسبب قبولها الإمالة وانقلابها إلى الياء وهي :

إلى ـ على ـ حتى ـ بلى .

٢ ـ في الأسـماء المبنية أنـا ـ إذا ـ مهـما ـ هنـا سواء كانت ضمائر أو أسماء اشارة أو موصولة أو استفهام أو شرط غير خمسة تكتب قصيرة وهي :

أنى ـ متى ـ لدى ـ الألى الاشارية ـ الأولى الموصولية .

٣ ـ ألف العوض المبدلة من ياء المتكلم في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم مثل يا ربا .

٤ ـ في الفعل والاسم التلاثيين اللذين انقلبت ألفهما عن واو مثل عصا ـ ذرا ـ سما ـ ويعرف أصل هذه الألف من مطالعة كتب اللغة والاستعانة بالضوابط التالية :

آ ـ تثنية الاسم أو جمعه أو اشتقاق صيغة مؤنثة منه أو ارجاع جمعه إلى المفرد نحو عصا ـ عصوان ـ خطا خطوات ـ العشا عشواء ـ ذرا ذروة .

ب ـ تحويل الفعل الماضي إلى المضارع مثل سما ـ يسمو ـ أو اسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة : سما ـ سموت ـ سموتم .

٥ ـ الأسماء الأعجمية ألفها طويلة دائماً ثلاثية كانت أو غير ثلاثية نحو آغا ـ يهوذا ـ زليخا ـ طنطا ـ المانيا ـ موسيقا .

٦ ـ كل اسم أو فعل ختم بألف قبلها ياء وهو غير علم استحيا ـ يحيا ـ الدنايا فإن كان علماً انقلبت قصيرة نحو يحيى .

٧ ـ ألف اطلاق الشعر وألف اشباع حركة الفتح .

٨ ـ الألف المدية إذا قصرت نحو الصحرا .
٩ ـ الألف المسهلة صدا الحديد .

وتبقى القاعدة العامة أن كل ألف قابلة للمد تكتب بالألف الطويلة ، وكل ألف غير قابلة للمد تكتب بالألف القصيرة .

وكما هو واضح أنهم ربطوا معرفة هذه الألف بمعرفة الصرف والنحو ، ولكن وفقاً لمبدأ التصويت بها ، فإن الأمر لن يحتاج منا إلا إلى إدراك الفروق الصوتية عند التصويت بهذه الألف ، وضرورة اعتماد مبدأ قبول أو رفض الإمالة في التفريق بينهما ، واعتماد بعض الضوابط الاصطلاحية التي وضعوها مثل الأسماء الأعجمية ، لأنها لا تدخل ضمن إطار مبدأ التصويت بلغتنا .

أما المسألة الأخرى التي تلتبس بها الألف القصيرة بالطويلة ، فهي مسألة قصور لغة الكتابة عن تطور لغة الحوار المحكي التي تستجيب لمتطلبات الحياة العربية أكثر مما تستجيب له اللغة المكتوبة .

وأرى أن كل ألف موجودة في الأدوات تنطق ألفاً طويلة ، أما الكلمات التي استثنوها من هذه الأدوات ،

وكتبوها بالألف القصيرة ، فذلك لعلة صناعية كي لا تلتبس بغيرها من الأدوات التي تشابهها بالكتابة مثل إلى وإلا ، وبشكل عام هذه الكلمات قليلة العدد ، ويمكن حفظ كتابتها بسهولة ويسر .

أما الألف القصيرة : فهي التي تفقد نصف كميتها المدية تقريباً ، وأحياناً تصبح من حيث المد بطول الفتحة فقط إذا تلتها كلمات مبدوءة بساكن مثل : الفتى العربي .

وتستجيب هذه الألف القصيرة لقانون بذل الجهد الأدنى في نطق الكلمات ، ولها دور تمييزي في التفريق بين الكلمات المتقاربة الأصوات ، وهي تتيح إبراز الصوت الذي يكفي للتمييز بين أصوات كلمتين متجاورتين تجاوراً لازماً ، كالمضاف والمضاف إليه ، والصفة والموصوف إذا ما التبس على السامع الكلام المنطوق .

وكما أن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى آخر ، فإن الألف القصيرة هي التي تقعْ أيضاً في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من كلمة الى أخرى ، دون اختلاط اللفظين في لفظة واحدة .

وأرى بأن معنى دعا هو الذي يوحي بتطويلها إلى

دعاء ، ومعنى رمى هو الذي يوحي بتقصيرها إلى الرمي ، وليس فقط لأن الألف في دعا أصلها الواو ، وأن الألف في رمى أصلها الياء ، وإن كان ذلك معياراً يمكن الاعتماد عليه، والاستئناس به إذا ادلهمّت الحالة وأظلمت إلى الحد الذي يضيع التفريق فيه بين شكلي ألف القصر .

أما تعريف الألف القصيرة : فهي الألف المفتوح ما قبلها الواقعة طرفاً والمرسومة بياء بلا نقط ، وأنه عندما تتوسط تفقد مبرر التصويت بها للفصل بين الكلمتين المتجاورتين بأقصر الأزمنة ، فتنقلب إلى الياء للإمالة قبلها بالكسر في مثل هذه الحالة .

ويرى علماؤنا الأقدمون بأن الألف القصيرة تعرف بالقياس في عدة أماكن هي :

١ ـ ما جاء من الأصوات مفتوح الأول فهو مقصور مثل الوغى ، أما ذوات الواو فجمع المضموم منها والمكسور بالياء ، لأنه مردود إلى أصله عروة عُرى وربوة رُبى .

٢ ـ كل اسم من ذوات الواو والياء في أوله ميم مفتوحة أو مضمومة فهو مقصور مستشفى ـ مَبغى ـ المرمى .

٣ ـ كل فعـل لحقتـه الزيادة من ذوات الواو أو الياء فهو مقصـور مثـل أدنى من دنـوت ، وأعـلى من علوت وأقضى من قضيت وأسعى من سعيت .

٤ ـ كل مؤنث على فعـلى الـذكـر منه فعلان فهو مقصور مثل : غضبى من غضبان نشوى من نشوان .

٥ ـ كل اسم على وزن فُعالى مقصور مثل حُبارى ـ حُبالى .

٦ ـ كل جمع على وزن فَعْلى مقصور مثل جرحى .

٧ ـ كل جمع لمؤنث في واحدته الهاء مقصور مثل :
ربوة ـ ربى ـ وقرية قرى .

٨ ـ كل صفـات المشي والسـير مقصـور مثل : القهقرى مشية فيها تراجع والخطفى مشية فيها سرعة .

٩ ـ كل اسم جمع على أفعـال هو مقصـور هوى ـ أهواء وندى أنداء .

١٠ ـ الفعل المستقبل المضموم الأول مقصور نحو يُندى .

١١ ـ ما جاء في وسطه ألف صامتة فآخره مقصور حتماً :
رأى ـ نأى .

١٢ ـ كل ما كان من بنات الياء فهو مقصور ويمتحن ذلك بالتثنية أو الجمع أو المؤنث أو الرد إلى المصدر .

ومن المقصور السماعي .

الثرى في التراب ، والعمى في العين ، والخوى في الجوف واللحى جمع لحية والكرى النوم والردى الهلاك والصدى الصوت في الجبل .

ولم أر على الاطلاق كلمة ثنائية ألفها مقصورة ، فهي لا تكون في الثنائي مطلقاً وبالمقابل هي موجودة في كل فعل أوله ألف زائدة .

ويبقى المعنى وحده هو الذي يوحي بتطويل الألف أو تقصيرها في لغتنا النسيجية التي لا تفهم إلا بعبارتها كما يقولون .

لوحـــــة « ٣ »

ألـــف القصـــر	
الطويـــلة	القصـــيرة
هي الألف الواقعة طرفاً المرسومة بطولها لقبولها المد :	هي الألف الواقعة طرفاً المرسومة ياء بلا نقط لعدم قبولها المد :
إذا ـ أنا ـ عصا ـ سها ـ العشا ذرا ـ آغا ـ الصحرا ـ صدا الحديد الدنايا ـ الظبا ـ العدا ـ الغلا سطا ـ الدُنا ـ يحيا ـ العليا دجا ـ كلا ـ كلتا ـ الملا	رمى ـ مشى ـ الوغى ـ قرى أدنى ـ حُبالى ـ جرحى ـ القهقرى يُندى ـ أعمى ـ رأى ـ نأى ملقى ـ نشوى ـ الكرى

وهذا نظم ضابط لحالات الألف من كتاب « دليل الكاتب » لحسن شهاب .

نحو الفتى والعصا متى تثنيه   تعرف كتابته بياء أو ألف
والفعل زده التاء تعرف أصله   كعفوت ثم الواو تبدل بالألف
واكتب مزيداً عن ثلاثي بيا   فعلاً أو اسماً أن ذا لا يختلف
فان التقى ياءان تكتب بالألف   واستثنِ يحيى اسماً وريى واعترف
واستثنِ من مبني الأسماء الألى   وأولى متى أنى لدى باليا عُرف
ومن الحروف إلى بلى حتى على   بالياء واكتب عير ذلك بالألف
وكذاك عند توسطها كفتاي من   أعطاه مولاه وأرضاه يعف

القسم الثاني

الألف المتحركة « الصامتة »

١ ـ ألف الفصل
٢ ـ ألف اللين
٣ ـ ألف القطع

يقول ابن جني :

« إن الألف إذا تحركت انقلبت همزة ، ولـــو كانت تلك الحركة إلى السكون » .

ويضيف في موضع آخر :

« إذا مطلت الألف أدتـك إلى الهمزة فقلت « اَءْ » وكـذلـك الياء في قولك ايء وكذلك الواو في قولك أُوءْ ـ فهـذا كالحـركـة إذا مطلتهـا أدتـك إلى صورة أخرى غير صورتهـا وهي الألف والـواو والياء إلا أنها شبيهـة بهن وكذلك الهمزة شبيهة بهذه الأحرف الثلاثة » .

من كتاب الخصائص

بيـــان

من كتاب الحروف للإمام أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ص ١٣٤ . . .

« الألف في الحقيقــة ما كان ساكنــاً ، والمتحــرك همزة ، وقد يقال للمتحرك ألف بطريق التوسع » .

والألف على وجوه : « بلغت عند بعضهم الأربعين » .

١ ـ ألف الوصل : هذا ابنك

٢ ـ ألف القطع هذا أبوك

٣ ـ ألف الاستفهام أزيد عندك ؟

٤ ـ ألف النداء أزيد أقْبل

٥ ـ ألف الأصل هذا أسد

٦ ـ ألف البدل هذا أحد

٧ ـ ألف التفضيل زيد أفضل من عمرو

٨ ـ ألف المنقلبة قال ـ باع

٩ ـ ألف الضمير ضربا

١٠ ـ ألف الندبة وازيداه

١١ ـ ألف الفاصلة ضربوا

ويضاف إليها :

١٢ ـ ألف المضارعة أكتب

١٣ ـ ألف التعدية أكرمَ

١٤ ـ ألف التسوية سيان عندي أحضرت أم غبت

١٥ ـ ألف البدل سماء ـ بناء

● تتميز الكتابة العربية بكتابة ما يلفظ ، ففي كتب لفظنا ثلاثة أحرف كتبناها ، وهذا ما يجري على معظم كلمات لغتنا ، مما يجعل هذه الكتابة سهلة ميسورة ، خلافاً للغات الصائتية التي تحوي عدداً كبيراً من الحروف التي لا تلفظ ، أو تلفظ بأشكال مختلفة حسب ورودها في كل كلمة .

وفي معرفتنا لأصول الكتابة العربية ، لا يتوجب علينا إلا معرفة هذه الحروف المحركة : بالسكون أو الفتح أو الضم أو الكسر ونطقها بالمدود التي تنشأ عنها كما في :

إِب - با - بو- بي - بى .

وبقي ما هو موضع أشكال كبير كتابة الألف لعدم وجود المعيار الذي تركن إليه النفس ، ويقبل به المنطق ، وتستدل عليه السجية ، ويألفه الطبع مما جعل ذلك مشكلة ظاهرة بسبب عدم الادراك الحقيقي لطبيعتها الصامتية ـ الصائتية بآن معاً ، لأنها الأصل الذي توالدت منه جميع رموزنا الحرفية الأخرى .

ويمكن الاستفادة من موضوعة امتزاج المصوتات القديمة اَ ـ اُ اِ وانصهارها في حرف مصوت واحد هو الألف في اللغات الهندو ـ إيرانية لدراسة ألفنا العربية التي تحتفظ بآثار مشابهة لمثل هذا الامتزاج في نطقها وكتابتها .

وهذه الألف الصامتية المتحركة بالنسبة للحروف كالواحد في الحساب الذي بدأ به وسما إلى الرياضيات العليا وهذا المسمى الواحد هو الألف في عالم الحروف انطلاقاً من أنه لا ألفاظ بلا أجراس ولا صوامت بلا مصوتات وأن هذه اللفظة هي التي ظلت تشتمل على الصامت والصائت في بنائها وأساس تركيبها كما سنرى .

وهي التي سميت بالألف حين وضع الحروف الهجائية ، وذلك لانفرادها واستقلالها وقبولها الحركات لأنه كما يقول ابن جني في خصائصه أنه « لا سبيل إلى النطق بالحرف الواحد مجرداً من غيره متحركاً كان أو غير متحرك » .

وهذه الألف هي التي راعينا في كتابتها لفظها تماماً

المتحرك بالحركات الأربعة الموصوفة المعروفة وهي السكون والفتح والضم والكسر ولذلك فاننا سوف نعالجها بالاعتماد على هذا المبدأ الكتابي الذي يتضمن طريقة نطقها دون الحاجة كغيره من الحروف الأخرى إلى الاستعانة بهذه الحركات عند اللزوم .

الفصل الرابع

ألف الفصل عما بعدها

- بالوقف عليها
- بسكونها

يقول ابن جني :
« إذا تحركت الألف انقلبت همزة نحو جأن ومؤسى ، ألا ترى أن ضمة الميم في المؤقدان ومؤسى لما جاورت الواو الساكنة صارت كأنها فيها والواو إذا انضمت ضماً لازماً همزت » .

لوحـــــة « ٤ »

ألــف الفصــل عمــا بعــدها	
بالوقــف عليــها	بســـــكونها
ما قبلها مفتوح منشأ ـ مبدأ ما قبلها مضموم جؤجؤ ـ امرؤ ما قبلها مكسور ينبىء ـ يبتدىء ما قبلها ساكن عبء ـ جزء ما قبلها ممدود حياء ـ ينوء مليىء	ما قبلها مفتوح رأس ـ بأس ما قبلها مضموم شؤم ـ لؤم ما قبلها مكسور بئس ـ ذئب

● الحرف موجود في الحركة ، والحركة موجودة في الحرف ، ولا حركة بلا حرف متحرك بها ، لكن رموزنا الحرفية قبلت الفصل بينها وبين حركتها إلا هذه الألف « الخنثى » التي رفضت الانفصال عن حركتها .

ولا يعرف الحرف إلا إذا تخلى عن حركته ، ولا تعرف الحركة إلا إذا تخلت عن الحرف أيضاً ، لذا ظلت هذه الألف معروفة بهما معاً ، وموصوفة بهما معاً كما هو واضح في كتابتها ونطقها ومخرجها .

والأصل في الألف الساكنة أن تكتب على الحرف الذي لو خففت لعادت إليه ، وكذلك ألف الفصل الواقعة طرفاً لأنها تلين في اللفظ فينحا بها نحو حروف المد ، ولأن همز المد يعني تسكينه أيضاً .

والثابت الأكيد أن هذه الألف الفصلية الساكنة في الوسط هي التي ولدت عن الممدود الطويلة ، وأصبحت بعد ذلك وحدة مستقلة بذاتها ، كما سنرى عند بحث الممدود الموقوف عليه .

وهناك رأي لبعض اللغويين يرى أن الصوائت هي التي همزت ، وليس لانفراد الألف بها ومنهم العالم اللغوي

ابن جني ، ولكن إذا علمنا أن الأكدية القديمة كانت تلفظ مَتْ هكذا مَ اَ ت وبِرْ بـ اِر ولُمْ لُ اُم وكانت تعني بها مات وبير ولوم أدركنا السبب في وجود هذه الألف التي تحولت إلى حرف هجاء نأتي بصائت قبله كي نلفظه مثل اءْ ـ اَءْ ـ اُء ـ اِءْ .

وكان الخط السرياني يرسم للألف حرفاً مجرداً يختلف عن رسم الألف المتصلة بحرف إلى اليمين منها أو اليسار أو الألف المتوسطة .

وقد أتى العرب بهذه الألف للتقصير من طول المد الموجود في حشو الكلمة وللفصل بين مقطعيها وخاصة عندما تم الانتقال من مرحلة التعبير عن رأس بـ رَ كي نضم إليها المقطع اَس .

ومن ألفات الفصل الساكنة في لغتنا العربية ، التي اختصرنا فيها المد الموجود في بنية الكلمة ألف رأس بعد مفتوح وشؤم بعد مضموم وبئر بعد مكسور ، وكذلك الأمر في بقية الكلمات الأخرى المشابهة مثل مأمون وبؤبؤ وذئب ، والتي ظلت ألفها متأثرة بالصائت الموجود قبلها ،

والتي يصح فيها الحذف والاكتفاء بالحرف الممدود فنقول ـ راس ـ شوم ـ بير ـ بوبو ـ ذيب ـ مامون .

ونحن نسجل الممدود قبلها حتى ولو كانت حركة هذا الممدود هي حركة عارضة ، كما هي حال حركة ألف الوصل قبل ائتمن وائتزر وائتلف ، ونستطيع أيضاً تخفيف هذه الألف متى شئنا ، وأن نبقي الصائت الذي صتناها به دون أن تتعرض الكلمة للإخلال بمعناها إلا فيما ندر .

وعند التصويت بالألف الفصلية نبدأ بالصائت أولاً ، لأن الحرف عندما يسكن فإن صوته لا يلحظ إلا نادراً ، وبالتالي من هنا كان خضوعها للصائت الطويل قبلها التي ألحقت به في كتابتنا سواء توسطت أو تطرفت .

والألف التي تطرفت بعد مفتوح كتبت على ألف مثل منشأ ـ مبدأ .

والتي تطرفت بعد مضموم كتبت على واو مثل حؤجؤ ـ امرؤ .

والتي تطرفت بعد مكسور كتبت على نبرة مثل مبطىء ـ ينبىء .

والتي تطرفت بعد ساكن أو ممدود كتبت مفردة مثل عبء ـ وجزء وبطء وحياء ونشوء ومليىء .

ومن الألفات التي تستحق الوقوف عندها بعض الشيىء الألف المفردة بعد المد الطويل ، كما في بهاء وإباء وشقاء وسماء ودواء وسوء وشيىء وفيىء والموقوف عليها بعد ساكن مثل عبء وبطء ومرء وضوء ، وهي التي يصح اعتبارها بحق حرفاً كامل الحرفية إذا ما فصلنا نطقها عما قبلها .

وعندما لا يلتبس كلامنا على السامع ، نتخفف من هذه الألف الفصلية ، كما لو أنها غير موجودة ، فنقول : شقا وسما ودوا وسو وضوء وشي وفي ، مع تغيير بسيط في حركة الحرف الأول اقتضاه اللفظ بالألف الفصلية في طرف الكلمة .

وقد حدد اللغويون ما يدرك من الممدود بالقياس ويعرف بالعلامات فقالوا :

١ ـ كل مصدر من فعل زائد في أوله الألف نحو : الإفعال الالقاء والافتعال الانزواء والانفعال الادعاء

والاستفعال الاستدعاء ، بالاضافة إلى ما كان مصروفاً من التفعيل إلى التفعال مثل التمشاء المصروف من التمشي .

٢ ـ ما كان من الأصوات ، ويأتي مضموماً أو مكسوراً مثل الرُّعاء والنداء .

٣ ـ ما كان من الأسماء على مثال فَعال نحو الوشاء وعلى فَعال وفِعال وجمع على أفعلة نحو هواء ورداء وفناء ، والجمع منه أهوية وأردية وأفنية .

٤ ـ ومن المؤنث على مثال فعلاء نحو السراء من السرور .

ونحن نأتي بهذه الألف في طرف الكلمة كي نستطيع التخلص من صعوبة الوقف على حرف المد الذي لا يتحمل الحركات الاعرابية ، فإذا كان ما قبلها ساكناً ولحقها التنوين ، فإننا نكتبه على ألف إذا كان ما قبلها لا يتصل بما بعده ، وتظل هي مفردة ، مثل جزءاً أما إذا كان ما قبلها يتصل بما بعده كتبناها على نبرة ووضعنا التنوين على ألف بعدها مثل ـ شيئاً حزءاً

الفصل الخامس

ألف اللين

- الحركة قبلية
- الحركة مرافقة
- الحركة بعدية

يقول ابن جني في كتاب الخصـــائص ص ٣٢١ الجزء الثـــاني بعنـــوان « باب محل الحركات من الحـروف أمعها أم قبلها أم بعدها » .

« أما مذهب سيبويه فان الحـــركـــة تحدث بعـــد الحـرف وقـال غيره معـه وذهـب غيرهمـــا إلى أنها تحدث قبله » .

لوحـــــة « ٥ »

ألـــــف الليـــــن		
الحركة قبلية	الحركة مرافقة	الحركة بعدية
الفتح : متأدب ـ سأل الضم : يؤذن الكسر : رئة ـ فئة	رؤوف ـ حؤون يؤوب شؤون ـ فؤوس رؤوس	سَئِم سُئِل بِئِيس

● هي الألف المتوسطة المتحركة بعد متحرك التي تلين لصائت خلفي إذا كانت مفتوحة ، ولصائت مرافق إذا كانت مضمومة ، ولصائت أمامي إذا كانت مكسورة .

والحركة تقع قبل الألف إذا كانت مفتوحة ، وتقع بعدها إذا كانت مكسورة ، وترافقها إذا كانت مضمومة ، لذا ظلت تتنازعها ثلاث قوى عند الكتابة : خلفية ومرافقة وأمامية .

والحركة المرافقة هي التي يصح فيها القول : « ننظر إلى حركتها وحركة ما قبلها ونكتبها على حرف الحركة الأقوى ، والحركة الأقوى من الضم في مثل هذه الحالة هي حركة الكسر فقط .

أما فيما يتعلق بموضوع المفتوحة فهي التي تخضع للصائت الموجود قبلها ، والمكسورة هي التي تخضع للصائت الخلفي الذي هو حركتها باعتبار أن الحركة تقع بعد الحرف كما هو رأي سيبويه وابن جني وأغلب اللغويين من بعدهما .

وعندما تستجيب المفتوحة لصائت خلفي ، فانها تلين له ، وتكتب على حرف يناسبه :

فإذا كان مفتوحاً كتبت على ألف : سأل
وإذا كان مضموماً كتبت على واو : يؤذن .
وإذا كان مكسوراً كتبت على نبرة : رئة ـ فئة .

وعندما تستجيب المكسورة لصائت أمامي ، فانها تلين له ، وتكتب على حرف يناسبه ، وفيما يورده ابن جني في رسالة عقود الهمز ما يكفي إذ يقول « إن كانت « الهمزة » المتوسطة مكسورة كتبت على ياء أي « نبرة » انفتح ما قبلها أو انضم أو انكسر سَئِم ـ سُئِل ـ بئِيس » .

والملاحظ في المثال الذي أورده ابن جني أن الألف المكسورة لا يأتي قبلها مكسور وكلمة « بئيس » التي أوردها كمثال هي لضرورة القياس فقط .

أما الألف التي تستجيب للحركة المرافقة ، فهي المضمومة ضماً أصلياً التي تكتب على واو إذا كانت بعد مفتوح أو مضموم : رؤوف ـ شؤون خؤون ـ فؤوس دؤوب ـ يؤوب .

وأنه لا كسر قبل الألف المضمومة إلا في الصناعي من الكلمات ، وفي التوسط العارض ، ولذلك لا يعتد به

ولا يقاس عليه أبداً ، لأنه ليس في كلام العرب خروج من كسر إلى ضم مثل يستهزئون وخاطئون .

وقد ألحقنا الألف المتحركة الساكن ما قبلها بألف القطع ، لأنها من حيث التصْويت تعادل الألف المفتوحة أو المضمومة أو المكسورة الموجودة في صدر الكلمة .

كما درسنا الألف الساكنة المتحرك ما قبلها بالفتح أو الضم أو الكسر مع ألف الوقف لأن حذفها لا يغير أي شيء من معنى الكلمة ولأن العرب كثيراً ما مالوا إلى تسهيلها في هذا الوضع . ولأن كتابتها تخضع لقانون كتابة الألف المتطرفة .

الفصل السادس

ألف القطع عما قبلها

١ ـ بالابتداء
٢ ـ بشبه الابتداء
٣ ـ بالسكون
٤ ـ بالمد

لوحـــة « ٦ »

ألـف القطـع عمـا قبلهـا			
بالابتــداء	بشبه الابتداء	بالســكون	بالمــد
المفتوحة أنا ـ أنت ـ أكل أكـــرم المضمـــومة أُعرب ـ أُكرمُ المكســـورة إلى ـ إفك	بأموري ـ سأطيع كأنك ـ لأمي فأطاع ـ وأمي	أسئلة ـ أفئدة فجأة ـ المرأة أيأس ـ ضوءه ضـــوءُه	عباءة ـ مروءة مشيئة قراءات جبرائيل هائل ـ يفيئان

ترتيب الأبجـدية الأوغـاريتية كما ورد في كتـاب الأبجدية للدكتور أحمد هبو ص ٩٥ .

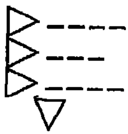
اَ ـ ب ـ ج ـ خ ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط ـ ي ـ ك ـ ش ـ ل ـ م ـ ذ ـ ن ـ ظ ـ س ـ ـ ع ـ ف ـ ص ـ ق ـ ر ـ ث ـ غ ـ ت ـ أمضمومة إمكسورة ـ س ٢

وهي تتـألف من ثلاثين رمزاً صوتياً ثلاثة منها تمثل الألف مع الحركات الثلاث الفتح والضم والكسر .

ورسم الألف المفتوحة في هذه اللوحة هو

A 

ورسم الألف المضمومة هو ؤ 

ورسم الألف المكسورة هو i 

★ عثر علماء الآثار الفرنسيون على هذه الأبجدية عام ١٩٢٩ في أوغاريت « رأس شمرا » شمالي اللاذقية ـ سوريا

● هي أول الحـروف الهجائية العربية التي يعبر اللفظ بها عن صوتها ، كما في أسد ، والتي نأتي بها في أول الكلمة أو في وسـطهـا ، ونقـرأهـا باضافة الحركات الثلاث إليها الفتح أو الضم أو الكسر .

وكان العرب يرمزون إلى هذه الألف بنقطة كبيرة أو بنقطتين ، ويلون يخالف لون المداد ، وأنه عندما كان يرمز إلى هذه الألف بهذا الشكـل كانت توضـع على كرسي ، وكان هذا الكرسي عبارة عن الألف أو الواو أو الياء .

ولم يراع العـرب في كتـابـة الألف هجاءها إلا إذا ابتدىء بها ، لأنها ذات طبيعة خاصة تختلف فيها عن بقية الحروف الصامتة الأخرى ، وهذا الكرسي كان دليلاً على حركتها التي لا تنفصل عنها .

وكل ألف كتبت وفقاً لهجائها هي ألف القطع التي يقول عنها الدكتور كمال محمد بشر في كتابه علم الأصوات أنها صوت صامت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور .

وإذا علمنا أن الكتابة العربية راعت في كتابة الألف

المتوسطة مقطعيتها ، وأنها لم تراعِ هجاءها ، أدركنا سبب الخلاف والإختلاف في طريقة رسمها وأسلوب كتابتها .

والألف المبتدأ بها هي الموجودة في كل الحروف عدا « أل » التعريف الملحقة بالاسم ، وفي ماضي الثلاثي والرباعي المهموز مثل أكل ـ أكرم ، وفي كل الأسماء عدا عشرة منها قديمة هي ابن وابنة وابنم واسم واست واثنان واثنتان وامرؤ وامرأة وايم الله .

وكل ألف في أول الكلمة وليها حرف مد كتب ذلك الحرف من جنس حركة الألف نحو أو من ايماناً أوتي ايتاء ، إلا إذا كانت الألف مفتوحة فإن حرف المد يحذف بعدها في الكتابة ، ونعوض عنه بمدة نحو آمن ـ آتى .

وكل ألف جاءت في أول الكلمة مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ، ودخلت عليها ألف الإستفهام أو النداء ظلت ألف القطع على حالها هكذا اَأُلقي ـ اَأَكرم ـ اَإِلقاء ـ اَأُستاذ اَاَحمد ، لأنها بمقام الكلمة المستقلة وهو مذهب أغلب اللغويين .

ومن ألفات القطع الموصولة بحروف لم تتغير الواقعة بعد « و . ف ـ س ـ ب ـ ل ـ ك » مثل بأموري ـ

سأطيع ـ كأنـك ـ لأمي ـ فأطـاع لأنـك وأنت ، والمتغيرة فقط ثلاث هي لئلا ـ لئن ـ هؤلاء لأنها عندما اختصت في أقسام الكلام بالأدوات أصبحت بمقام الكلمة الواحدة ، وعوملت معاملة الألف المتوسطة اللينة .

ومن المعروف : أن الكلمة العربية تتضمن أصواتاً مضمرة ، هي الحركات الأربعة السكون والفتحة والضمة والكسرة ، وهي تقـرأ مضـافـاً إليهـا هذه الأصـوات غير المكتوبة ، وعند هجاء الألف علينا لفظ هجائها فنقول أْأَأُإِ لأنـا إذا لفظناها ألفاً نكون قد نطقنا بصفتها التي غلبت على اسمها وليس هجاءها أبداً .

وإذا كانت الألف مقطوعة عما قبلها بساكن تلفظ ، كما لو أنها مقطوعة ، ولكن حركتها تسجل على الألف أو الواو أو الياء كما في :

مسألة ـ مرؤوس ـ موئل ـ واستثنوا من ذلك الألف المفتـوحـة بعـد واو ساكنـة مثل ضوءَه فكتبوها مفردة على السـطر ، وكـذلـك الألف المضمومة « ضوءُه » أما الألف المكسورة بعد واو ساكنة فقد كتبوها على نبرة ضوئه .

وأرى بأن هذا الاستثناء ناجم عن عدم التفريق بين الواو نصف الصامتية الساكنة ، والواو المدية التي لا حركة لها ، وليس هنــاك ما يوجب عدم كتـابتهـا على ألفـ اذا كانت مفتــوحــة في ضوأه ، وكتـابتهـا على واو إذا كانت مضمـومـة ضوؤه ، كما هي الحال بالنسبة إلى كتابتها على نبرة في ضوئه .

أمـا المقـطوعة بمد مفتوح فكتبوها مفردة إذا كانت مفتـوحـة مثل ماءه ، وعلى واو إذا كانت مضمومة ماؤه ، وعلى نبرة إذا كانت مكسورة مثل مائه .

والمقـطوعـة بمـد مضمـوم كتبـوها مفردة إذا كانت مفتـوحـة مثـل لجوءه ـ موبـوءة ـ سمـوءل والمقـطوعة بمد مكسور كتبوها على نبرة مثل مشيئة يفيئان .

لوحـــــة « ٧ »

ميــــزان الألــف العــربية

(١) الألـف التي لا حـركة لهـا « الصائتة »

ألـــف الوصــــل :

وجـودهـا : « أل»التعريف الأسماء العشرة الأمر الثلاثي ـ ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما .

حذفهـا : اَبن من أنت ـ للخير ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ خالد بن الوليد ـ فاطمة بنة محمد ـ يابن آدم

ألــــف المــــد

الأصلية : ألف اشباع الفتح في الثلاثي من الاسم والفعل : قال ـ باع ـ هاء ـ ماء

الـــزائـــدة : ألف اشبـاع الفتـح ما فوق الثـلاثي شاهق ـ تقاتل ـ دوران ـ انكسار ـ استخراج .

ألـــف القصـــر

الطويلة : هي القابلة للمد في الطرف إذا ـ أنا ـ عصا ـ آغا ـ الصحراء ـ صدا الحديد .

القصيرة : هي التي لا تقبل المد في رمى ـ مشى ـ ندى غضبى حبالى ـ أعمى ـ رأى ـ نشوى

---

(٢) الألف المتحركة « الصامتة »

ألف الفصل عما بعدها

بالوقف عليها : منشأ ـ مبدأ ـ يبتدىء ـ يبطىء ـ يجرؤ ـ جؤجؤ ـ المرء ـ بهاء ـ شيىء ـ ضوء .

بسكونها : رأس ـ بؤس ـ بئر ـ ذئب ـ ائتلف ـ يأتي .

ألف اللين المتحركة بعد متحرك :

قبل : تؤجج ـ سأل ـ ذئاب .

مع : رؤوف ـ فؤوس ـ يستهزئون .

بعد : تقرئين .

ألف القطع عما قبلها

بالابتداء : أنت ـ أعرب ـ احسان

شبه بالابتداء : كأنك ـ لأمي ـ فأطاع ـ وأمي

بسكونها : ضوءَه ـ ضوءُه ـ فيئها ـ مسؤولية ـ مسألة

بممدوده : عباءة ـ مروءة ـ مشيئة .

ملحـــق فـــي مســـائل :

١ ـ الاعلال
٢ ـ القلب
٣ ـ الابدال
٤ ـ الحذف
٥ ـ الزيادة

قال أبو الفتح ابن جني في كتابه الخصائص ـ الجزء الثالث ص ـ ٢٤٠

« فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ، ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ، وكذلك إذا انحرف به عن سمته وهويته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له » .

وقال أبو عبيدة يزيد بن الحكم يهجو النحاة :

إذا اجتمعوا على ألف وواو   وياء هاج بينهم قتالُ

● إذا كان معنى الألف هو ائتلاف الصائت والصامت وانسجامهما في وحدة صوتية لغوية تامة ، فإن هذا المعنى ذا الوجود المستقل هو المعيار الذي تنتظم فيه أصولها الصوتية والصرفية والنحوية والكتابية .

وقد حدد العلماء القدامى هذه الألف بوصفين اثنين انسجاماً مع التصويت بها في الكلام العربي هما الألف الصائتة التي لا حركة لها اطلاقاً والمرموز لها بالمقطع « لا » والألف المتحركة التي سموها « الهمزة » والتي يجمعها الترتيب الصوتي الآتي : أْ ـ أَ ـ أُ ـ إِ .

ولما كان رسمها الكتابي يخضع لمبدأ التصويت بها مقطعياً ، وليس حرفياً ، فقد لجأ هؤلاء العلماء إلى تحديدها بعدة أشكال اختلفت رسماً وتوحدت مدلولاً ومعنى هي :

ا ـ ء ـ أ ـ إ ـ ؤ ـ ئـ ـ أ .

واستكمالاً لمفهوم الوحدة ضمن التعدد ، والتعدد ضمن الوحدة القائل بتداخل علوم اللغة العربية وانفصالها عن بعضها بعضاً في آن معاً ، فإنه من الضرورة تقديم هذا الملحق للمزيد من الكشف والإيضاح .

وإذا علمنا أن الصرف الذي تعرف به الصيغ المتعددة للكلمة العربية لا يمكن فهمه دون معرفة القوانين التي يجري عليها علم الأصوات ، وأن هذا العلم هو الذي يشكل المقدمة اللازمة لفهم نحو الكلمة ، أدركنا أهمية تتبع العلة الصوتية والصرفية والنحوية والكتابية لفهم ألفنا العربية .

ولما كانت الكتابة العربية هي كتابة حسب المعاني ، وليس حسب اللفظ ، توجب علينا البحث والاستقصاء عن وظائف الألف الصوتية والصرفية والنحوية في مسائل الاعلال والقلب والابدال والحذف والزيادة .

ومما يزيد موضوع هذه الألف ايضاحاً هو أن العربية الأولى اعتمدت كلياً على الأصوات الصامتة في كتابتها وأنه لم تكن فيها حروف أو رموز مستقلة للحركات أو الصوائت الطويلة قبل أبي الأسود والخليل ، بل كانت تستنتج استنتاجاً بمساعدة السياق والمقام في الجملة .

ويجدر بنا استعراض معاني هذه الألف قاموسياً قبل الخوض في مسائلها المتفرعة المذكورة في هذا الملحق بقصد الدربة والمران .

فأَلِف بمعنى اَنِس هو فَعِل
وآلف بمعن عاشر هو فاعل
وإلافاً بمعنى إِناساً هو فعالاً
ومؤالفة بمعنى مؤانسة هو مفاعلة
وألّف بمعنى جمّع هو فعّل
واستألف بمعنى طلب صديقاً هو استفعل
وإِلْف بمعنى صديق هو فِعْل .
وأوالف الطير بمعنى ما ألفت الدار هو فواعل
والأُلفة بمعنى الصداقة هو الفُعلة
والإِيلاف بمعنى العهد هو الفيعال
والمألف بمعنى ما يألفه الناس هو المِفْعَل
والألوف بمعنى الكثير الأُلفة هو الفعول
وتاَلّف بمعنى تنظم هو تفّعل
وتاَلّفوا بمعنى تجمعوا هو تفعّلوا
وتآلفوا بمعنى اجتمعوا هو تفاعلوا
والتأْليف بمعنى الجمع هو التفْعيل
والمؤلّف بمعنى الكتاب المجموع به علم من العلوم
هو المَفعّل

والمؤلِّف بمعنى منشىء الكتاب هو المفعِّل
والآلْف بمعنى العدد هو الفَعْل
والآلفية نسبة إلى الألف هي الفَعيلة
والآلِف بمعنى الحرف هو الفَعِلُ
ومما قاله الفيروز آبادي في المحيط :
الإِلف والإِلفة بكسرهما المرأة تألفها وتألفك

المسألة الأولى

الإعلال :

هو التغيير الذي يطرأ على الصوائت الثلاثة الألف والواو والياء في تصاريف الكلمة المختلفة إذا سُبقت بحركة غير مناسبة .

والحركة غير المناسبة هي الضم أو الكسر قبل الألف الصائتة أو الفتح قبل الواو أو الياء .

والصوائت الثلاثة هي الألف المسبوقة بفتحة والواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة وهذه الصوائت لا حركة لها اطلاقاً كما ذكرنا سابقاً .

١ ـ تحويل الألف المدية إلى الواو في حالة واحدة هي أن تقع بعد ضمة لعدم إمكان تحريك الألف بالضم وذلك :

ـ عندما نريد تصغير كلمة لاعب نقول لويعب .

ـ وعندما نريد بناء الأفعال للمجهول فإننا نقول في مثل

كاتب ـ كوتب ـ وقاتل قوتل ـ وبايع بويع ـ بقلب الألف واواً لعدم امكان تحريك الألف بالضم .

٢ ـ كما يجري تحويل الألف المدية إلى الياء :

ـ عندما تقع بعد كسرة وذلك في مثل كلمة مفتاح فإذا أردنا جمعها جمع تكسير فانها تصير مفاتيح .

ـ ونقول في تصغيرها مفيتيح وكذلك هو الحال في مصباح مصابيح ومصيبيح ، وسلطان سلاطين وسليطين ومنشار مناشير ومنيشير وذلك لعدم امكان تحريك الألف المدية بالكسر .

٣ ـ أما تحويل الواو إلى ألف مدية فانه يجري :

ـ إذا انفتح ما قبلها في ماضي الثلاثي فنقول من المصدر قال القول ومن المصدر الغزو غزا .

٤ ـ كما تتحول الياء إلى ألف مدية :

ـ إذا انفتح ما قبلها أيضاً في ماضي الثلاثي فنقول : من المصدر البيع باع ومن المصدر الهدي ـ هدى .

المســـألة الثانيـــة

القلـــــب

هو التغيير الـذي يجري في الألف دون غيرها ويكون ذلك باتجاهين :

الأول : قلب الألف الصائتة إلى صامتة إذا التقى صائتـــان مفتــوحـــان لأن الضرورة هي التي تستدعي ذلك لتعذر النطق بمدين متشابهين متجاورين .

والثــاني : قلب الألف الصـامتـة إلى صائتـة بقصد التسهيل أو التخفيف في الكلام العربي .

١ ـ تقلب الألف الصائتة إلى صامتة :

ـ إذا جرى تحريكهـا عند وقوعها طرفاً بعد ألف زائدة في مثـل كلمة حمراء التي أصلها حمرا فمدت الألف ولما كان المدان لا يلتقيان قلبت إلى ألف صامتة .

ـ إذا وقعت بعد ألف مفاعل أو مايشبهه مثل قلادة ـ قلائد ومنارة منائر .

٢ ـ وتقلب الألف الصامتة إلى صائتة :

ـ عند التسهيل في نحو صدا الحديد وأصل الكلمة صدأ الحديد .

ـ إذا جاورت الألف المدية الآن ـ آمن .

لأنه إذا اجتمع في الكلمة ألف صامتة مفتوحة وبعدها ألف مدية تقلب مدة فوق الألف هكذا « آ » بشرط ألا تكون الألف الصائته لتثنية الفعل أو ألف ترسم مقصورة مثل وأى .

ـ وتقلب الألف الصامتة إلى حرف مد من جنس حركة ما قبلها إذا كانت ساكنة في حشو الكلمة مثل : رأس ـ راس .

المســـألة الثالثـــة

الإبـــدال

هو التغيير الذي يقتضي وضع الألف الصامتة مكان الواو أو الياء الصامتتين أو وضع هذين الصامتين مكان الألف الصامتة في تصاريف الكلمة الواحدة .

ويجـري هذا الابـدال في أغلبه إذا تطرفت الواو أو الياء بعد ألف زائدة وإذا وقعت هذه الألف بعد حركة لا تناسبها في الكتابة .

١ ـ تبدل الألف الصامتة بالواو :

ـ إذا وقعت ساكنة بعد ألف مضمومة مثل اؤمن ـ اومن .

ـ إذا وقت مفتوحة بعد مضموم مثل :

أجج ـ مؤجج ـ يؤجج .

ـ إذا وقعت مضمومة بعد مفتوح مثل :

خؤون من خائن .

ـ إذا وقعت ساكنة بعد مضموم مثل :
مؤلم من ألم وبؤبؤ من بأبأ .

٢ ـ كما تبدل الألف الصامتة بالياء أو النبرة :

ـ إذا وقعت ساكنة بعد ألف متحركة بالكسر مثل ائمان ـ ايمان .
ـ وتبدل بعد الكسر جئت به ـ جيت به .
ـ إذا وقعت بعد مكسور مثل خاطئون .
ـ إذا وقعت بعد ضم أو فتح وكانت مكسورة سُئل ـ يَئد .
ـ إذا وقعت بعد ياء ساكنة مثل هيئة ـ شيئَك ـ فيئُك .

٣ ـ كما تبدل الواو بالألف الصامتة .

ـ إذا تطرقت بعد ألف زائدة مثل سماء أصلها سماو .
ـ إذا وقعت عيناً لاسم فاعل فمن القول ـ قائل .
ـ إذا وقعت بعد ألف مفاعل مثل عجوز ـ عجائز .
ـ إذا وقعت بعد مد أوّل ـ أوائل .
ـ إذا اجتمعت واوان في أول الكلمة وواصل ـ أواصل ومن الملاحظ أن الواو كثيرة الوقوع فاء للكلمة نحو وعد

ووقـع ووضـع ووفـد لأننـا قادرون متى انضمت أو انكسرت أن نقلبها ألفاً صامتة .

٤ ـ وتبدل الياء بالألف الصامتة :

إذا تطرفت بعد ألف زائدة مثل بناي ـ بناء .

ـ إذا وقعت عيناً لاسم الفاعل فمن البيع بائع .

ـ إذا وقعت بعد ألف مفاعيل : صحيفة صحائف وطريقة طرائق .

ـ إذا وقعت بعـد ممدود يفصـل بينهـما ألف نيف ـ نيائف وسيد ـ سيائد .

ـ عنـد النسب إلى كلمات مثـل غاية وراية فنقـول غائي ورائي لاجتماع ثلاث ياءات لذا نقلب الأولى ألفاً صامتة .

المســـألة الرابعـــة

الحـــــذف

يكون لعلة صوتية أو صرفية أو نحوية أو كتابية في مواضع عديدة من أهمها حذف الألف الصامتة الزائدة في وزن أفعل للفعل الماضي الرباعي في مضارعه واسم فاعله واسم مفعوله .

كما تحذف من أول فعل الأمر المتصرف من الثلاثي في أخذ وأكل وأمر رغم مجيئها أصلية أما بقية أماكن الحذف فانها تأتي مقرونة بالعلة اللغوية التي دعت إلى الحذف وسبب هذا الحذف والغاية منه .

١ ـ تحذف الألف الوصلية إذا دخلت عليها ألف الاستفهام أينما وقعت مثل اَضطراراً فعلت هذا وأَبنك هذا وأَسمك أحمد وآلعلم أفضل من المال .

ـ كما تحذف من ابن وابنة إذا وقعتا بين اسمين علمين

الثاني أب للأول : خالد بن الوليد ، عائشة بنة أبي بكر .

- وتحذف بعد يا النداء يا بن آدم ويابنة الخطاب .
- ومن كلمة اسم في البسملة الكاملة : بسم الله الرحمن الرحيم .
- إذا دخلت عليها اللام سلمت للرجل كتاباً .
- ومن الفعل المضارع يستغفر - تستغفر .

٢ - وتحذف الألف المدية من كلمة الرحمن نحو عبد الرحمن ومن كلمة لكن وأولاء إذا جاءت بعدها الكاف نحو أولئك هم المفلحون ومن كلمتي الله واله لكثرة الاستعمال ومن كلمة سماء المجموعة بالألف والتاء سموات ومن بعض الأعلام المشهورة مثل طه واسحق ويس .
- ومن « ها » حرف التنبيه الموصولة بذا وذه وأولاء وذين وذان في هذا وهذه وهؤلاء وهذين وهذان .
- وتحذف من اسم المفعول للفعل الأجوف قال يقول واختار - مختار وباع مبيع وغاب مغيب .

- ومن ذا اسم الاشارة المتصلة بلام البعد ذلك وذلكم ومن كلمـة أنا ضمير المتكلم إذا وقعت بين « ها » التنبيه وذا الاشارية نحو هأنذا .

- كما تحذف الألف المتحركة من فعل الأمر المتصرف أخذ وأكل وأمر نحو خذ وكل ومر وألف (ما الاستفهامية) إذا سبقها حرف جر أو اسم مثل علام وبمقتضام .

- كما تحذف إذا كانت مفتوحة وقبلها ألف مدية في الكتابة مثـل قراءة وإذا كانت مفتـوحة أو مضمومة بعد واو ساكنـة مثـل ضوءَه وضـوءُه وإذا أتى قبلها حرف لا يتصل بما بعده مثل جزءان ويعوض عنها بهذه الحالة بحـركتهـا فقط التي رمـزوا لها بشكـل اصطلح عليه بـ« الهـمـزة » وإذا تطرفت بعـد ساكن مثـل عبء ـ جزء ـ ملء .

المسألة الخامسة

الزيادة

هي تغيير في بنية الكلمة لمعنى من المعاني تكون بوضع الألف مع أصل الكلمة زيادة عليه كالألف الزائدة في قادم على قدم وفي أكرم على كرم .

ومن أبرز أنواع الزيادة زيادة ألف الوصل قبل الساكن الابتدائي في الكلمة العربية وذلك لعلة صوتية دفعاً لالتباس هذا الساكن بالمتحرك ودلالة على أن ما بعدها ساكن ولا يحتمل التحريك مطلقاً .

ـ تزاد في الطرف بعد واو الضمير المتصلة بالأفعال نحو اكتبوا ـ كتبوا ولن يكتبوا .

ـ كما تزاد في الشعر ألف للإطلاق نحو :

إذا كنت ذا رأي فكن فيه مُقدماً
فإن فساد الرأي أن تترددا

ـ تزاد للتفضيل مثل زيد أفضل من عمرو ولجمع التكسير مثل مساجد ـ جبال ـ فرسان وللتأنيث حمراء وصحراء ولمياء وليلى ولبنى ويمنى وفي وزن فاعل قائل

وبائع وفي وزن فعائل ـ عجائز ـ صحائف ـ قلائد وللنسبة غائي ورائي وفي وزن مفاعل مصائب ومنائر .

وللاستفهام أزيد قائم وللنداء أفاطم مهلاً وللاثنين محمدان يكتبان وللندبة وا زيداه أي الألف التي بعد الواو .

ـ كما تزاد للفصل بين نون النسوة ونون التوكيد ليسهل النطق بهما يكتبنان وفي تنوين النصب فعلت خيراً وللإنكار : أعمراه لمن قال لقيت عمراً ولمد الصوت بالمنادى المستغاث أو المتعجب منه أو المندوب كقوله :

يا يزيداً لآمل نيل غز وغني بعد فاقة وهوان

ـ ومن مزيدات الأفعال الثلاثية .

ـ وزن فاعل الدال على المشاركة نحو ضارب زيد عمراً .

ـ وتفاعل نحو تصالح القوم وأفعال كاحمارّ أي اشتد احمراره والذي نأتي به للمبالغة والمختص بالألوان والعيوب .

ـ ومن المشتقات المزيدة مصدر الثلاثي الدال على حرفة فعالة زراعة وعلى امتناع فعال جماح وعلى اضطراب فعلان غليان وعلى داء فُعال زُكام وعلى صوت فعال صِراخ

وما لم يدل على شيىء محدد مثل فعالة نباهة .

ـ ومصـدر غير الثـلاثي فاعـل فعالاً ومفاعلة قاتل قتـالاً ومقـاتلة وأفعـل مصـدره إفعال اكرم اكراماً وتفاعَل مصـدره تفاعُل تقادَم ـ تقادُماً وافعلّ مصدره افعلال احمر احمـراراً وانفعـل مصـدره استفعـال استخـرج استخـراجاً ومصـدر المـرة التفت التفاتة ومصدر النوع انطلق انطلاقة واسم الآلـة مزمـار ومصفـاة ومفتاح واسم الفاعل ناصر ـ ظالم ـ قائم .

ـ وأمثلة المبـالغـة : فعـال وفعـالـة ومفعـال وفاعلة وفـاعـول وفعّال مثل علام وعلامة ومقدام وراوية وفاروق ومتلاف ومخلاف ومعطاء وما إلى ذلك .

ـ ومن المؤنث سوداء وبيداء وأمهات وسموات ومن المـوصـوف الأعـجمي قناصل وبطاركة وكرادلة ومن جموع القلة أفعال وأظفار ومن جموع الكثرة فعالل نحو بلابل جمع بلبـل وسفـارج جمع سفـرجل وفواعل جواهر وخواتم جمع جوهر وخاتم وجموع الصفات فواعل حوامل وألف التأنيث عندما تقلب واواً تزاد قبلها ألف فنقول دنياوي وصفراوي .

نتيجـــة

تصب في محورين الأول : الألف الصـائتة التي لا حركـة لها في الوصل والمد والقصر، وتكتب بلا أية علامة تفـريقية هكـذا «ا» إلا مادل منها على الألف المقصورة في الـطرف المـرسـومـة بصورة ياء بلا نقط في الأسماء المعربة والأفعال الزائدة عموماً التي تحتضن ألفاً قصيرة مثل حُبلىٰ ـ دعـوى جلّىٰ ـ حُمادىٰ ـ مستشفىٰ ـ أعـطىٰ ـ أمـلىٰ ـ لبىٰ ـ آخىٰ أمـا الاستثناءات الأخرى لهذا الشكل الكتابي فهي قليلة ويمكن حفظها .

والثاني : الألف الصامتة المتحركة بالحركات الأربع المعـروفة في لغتنا وهي السكون والفتح والضم والكسر ، ويجـري التفـريق بين أنـواعهـا بمـلازمـة رسمهـا الكتابي لحركتها ، مع اجراء بسيط وضروري هو تسجيل الصائت قلبها إذا كان مشبعاً بالضم أو الكسر .

أمـا الحـالات الأخـرى العارضة : كالمدة والتنوين والشـدة فإنها تعـالـج بطريقة تتناسب مع التصويت بهذه

الألف ، وفقاً لوقوعها صدراً أو وسطاً أو طرفاً .

فألف الصدر لها أربعة أشكال هي ـ ا ـ أَ ـ أُ ـ إِ ـ وهي موجودة في كلمات مثل اسم وأَمل وإِبل وأُخت .

والوسط لها خمسة أشكال هي ا ـ أْ ـ أَ ـ أُ ـ إِ وهي موجودة في كلمات مثل قال ـ رأْس ـ سأَل ـ رأُوم ـ رإِيف .

والطرف لها ستة أشكال هي ى ـ ا ـ أْ ـ أَ ـ أُ ـ إِ ـ وهي موجودة في كلمات مثل رمى ـ دعا ـ الدفأْ ـ المرأْ تهيأَ ـ يبدأُ ـ بالنبإِ .

أما المد فهو موجود في الصدر والوسط والطرف آمين ـ قرآن ـ قرآ ، والشد موجود في الوسط متراًّس ـ تراًّس ـ ساًّل ـ والتنوين موجود في الطرف وجدت قلماً .

وهذه النتيجة تؤكد :

١ ـ ضرورة التخلص من الالتباس الحاصل في حذف ألف الوصل أو اثباتها كما في فأْتلف فاَتلف دون الحاجة الى اثبات ألف الوصل في مثل هذه الحالة التي لاتستدعيها الضرورة في كتابة فائتلف التي تلتبس بالفعل فأتلف .

٢ ـ ضرورة التخلص من ضوابط المد في :

مبــدآن ـ قرآ ـ جزآن ـ عبــآن ـ خطيآت والــتي لاتبيح إلا مد الكلمة الأولى وتقول بكتابة الباقي هكذا : قرأا ـ يلجـأان ـ جزءان ـ عبئـان ـ خطيئـات دون تقـديم الدليل المنطقي الذي يحول دون مدها في مثل هذه المواضع .

٣ ـ ضرورة التخلص من ممنـوعات تنوين النصب ومـوجبـاتـه في : مملأً ـ مذرأً ـ وباءً ـ رداءً ـ جزءاً ـ عبئاً ـ فتيًأ ـ ذراً ـ عبـاءةً عندما تكتب هكذا مملأً ـ مذراً ـ وباأً ـ رداأً ـ جزأً ـ عبأً .

ونـسـتـغني بذلــك عن ألف تنــوين النصب التي لاتستدعي الحاجة التصويتية اليها كما هي الحال في تنوين الضم والكسر .

٤ ـ ضرورة التخلص من الحـيرة في تسهيل الألف المتـطرفـة وتخفيف السـاكنـة في الوسط عند إشباع ماقبلها بالضم أو بالكسر في مثـل تهيؤ ـ ويتكىء ـ ويستهـزىء ـ وشؤم ـ وبئر ـ وفأس .

٥ ـ ضرورة التخلص من كثرة القـواعـد وشواذها التي تنتظم كتابة الألف على واو أو ياء أو ألف أو مفردة في أمـاكن كثـيرة بعيدة كل البعـد عن الاقتنـاع في مثـل : سوءى ـ ضوءا ـ عطاؤه ـ ضوءُه ـ ملأوا ـ وشيئـة وفيئـه ـ المتحركتان بالحركات الثلاث .

الخاتمـــــة

حاولنا في هذا البحث تقديم فكرة موجزة عن مسألة الألف العربية ، والكشف عن سر الاختلاف في تسميتها ووصفها وكتابتها ، من خلال منهجٍ متكامل الرؤية ، وإطار موحد الهدف والغاية ، بعيداً عن سرد مواضع الاتفاق والاختلاف في أبحاث العلماء قديما وحديثا .

ولجأنا إلى توحيد ما اختلف ، وتنسيق ما تشابك ، بالاعتماد على مبدأ التصويت بها ، واضعين نصب أعيننا الأحكام التي تنتظم قواعدها ، والعودة إلى الأصول التي تحدد قوانينها ومبادئها .

وسلكنا طريقاً وعرة في البحث عن حل لمشكلة لغوية قديمة ـ جديدة تتنازعها قدسية الموروث وصعوبة التحديد لاختلاف أئمة اللغة في كيفية معالجتها ، ولكثرة التعقيدات التي تلف موضوعها .

واستوفينا مسائل بحثها ، وقدمنا ما اعتقدنا أنه الأجدى والأنفع والأيسر فهماً ، ناشدين تمهيد الطريق لمن

يأتي كي يبحث عن المزيد من دقائقها ويكشف عن عظيم أسرارها .

وقدمنا ملحقاً كاشفاً لاعلالها وقلبها وإبدالها وحذفها وزيادتها ، لا يتنكر للأصيل ، ولكنه بالمقابل لا يتحجر بصيغه الموروثة ، ولا يخاف صيغة الحديث إذا كانت المرونة تقتضيه ، والحاجة تستدعي إليه ، وبلوغ الفهم والافهام ديدنه وناموسه .

وخصلنا الى نتيجة ، هي بمثابة اقتراح مفتوح على كل الآراء الصائبة ، الهادفة إلى البحث عن توحيد رسمها الكتابي في جميع أماكن وجودها ، وفقاً لمبدأ التصويت بها ، وكي يتم الاستغناء عن ربط كتابتها بعلوم اللغة الأخرى .

المحتـــــويـات

القسم الأول
الألف التي لا حركة لها اطلاقاً «الصائتة»
١٧ - ٦٦

القسم الثاني
الألف المتحركة « الصامتة »
٦٧ - ٩٦

ملحق في مسائل :
٩٩ - ١١٧

ميزان الألف العربية / أحمد زرقة .

ـ دمشق : المؤلف ، ١٩٩٠ . ـ

١٢٧ ص ؛ ١٨ سم .

١ ـ ٢ر٤١٥ زرق م ٢ ـ العنوان

٣ ـ زرقة

مكتبة الأسد

ع ـ ٣٨٦ / ٤ / ١٩٩٠

مطبعة العجلوني

هــذا الكتــاب

يبحث في الألف العربية هجاء وكتابة ، بنوعيها الصائت المسمى « مداً » والصامت المسمى « همزاً » والتغيير الذي يطرأ عليها تصريفاً ورسماً ، في الصيغ المتنوعة للكلمة العربية المحددة الأصول .